
الوارث
توزع مجاناً
٤١
جمادى الثاني ١٤٣٢
أيار ٢٠١١
مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
الأمانة العامة
المقدسة
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):



صفحات الوارث



الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩:١٢١١

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

كلمة العدد

أحيوا أمرنا

عند الاطلاع على الأحداث التي تجري في هذا الشهر الشريف نجد أحداثا متفاوتة كما في شهادة السيدة الزهراء عليها السلام وولادتها في هذا الشهر نفسه، ونجد أيضاً شهادة الإمام الهادي عليه السلام ووفاة ولده السيد محمد سبع الدجيل سلام الله عليه، وهناك رواية بزواج عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بآمنة بنت وهب.

فهذه المناسبات المحزنة والمفرحة هي مناسبات عزيزة على قلوب شيعة أهل البيت عليهم السلام، فلابد من إحياء هذه المناسبات وإعادة ذكراها لما في ذلك من إحياء لأمر أهل البيت عليهم السلام إذ أمرونا بإحياء أمرهم، فقالوا: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا».

ولا شك في أن الحرص على إحياء هذه المناسبات فيه فوائد كثيرة منها:

١ ـ الوقوف على سيرة هذه الشخصيات المقدسة واستلهام الدروس منها.

٢ ـ التذكير بمظلومية أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم في قيادة الأمة.

٣ ـ ربط الأجيال المعاصرة بهذه الشخصيات لكي لا تنسى خدماتهم للأمة ولكي يُرد الإحسان بالإحسان.

٤ ـ إعطاء صورة للأمم الأخرى بحرص محبي أهل البيت عليهم السلام على تعظيم العظماء وتخليد ذكراهم لما في ذلك من سلوك أخلاقي وحضاري، إذ إن الأمم التي تحترم عظماءها هي أمم حيّة وواعية.

٥ ـ تشجيع أبناء الأمة على الاقتداء بهذه الشخصيات العظيمة والتمسك بمنهجهم الإلهي.

وهناك فوائد كثيرة يضيق المقام عن ذكرها.

المشرف العام

عليه السلام

الإمام الحسين في أرض كربلاء

الحلقة الأولى



نزوله عليه السلام في نينوى

لمّا أصبح الإمام سلام الله عليه، نزل وصلّى بأصحابه الغداة، ثمّ عجّل الركوب أخذ يتياسر بأصحابه يريد أنْ يفرّقهم، فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتّى انتهوا إلى نينوى.

بالمكان الذي نزل به الحسين عليه السلام، فإذا راكب على نجيب له عليه سلاح متنكّباً قوساً مقبلاً من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ وأصحابه ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد لعنه الله فإذا فيه:

أمّا بعد فجعجع بالحسين حين بلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلاّ بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحرُّ: هذا كتاب الأمير عبيد الله يأمرني أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني كتابه، وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ أمره فيكم.

فنظر يزيد بن مهاجر الكنديّ - وكان مع الحسين عليه السلام - إلى رسول ابن زياد فعرفه، فقال له: ثكلتك أمّك ماذا جئت فيه.

قال: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي.

فقال له ابن المهاجر: بل عصيت ربّك وأطعت إمامك في هلاك نفسك وكسبت العار والنّار، وبئس الإمام، قال الله تعالى: ((وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ)).[1]

فإمامك منهم.

وأخذهم الحرّ بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقال له الحسين عليه السلام:

«دَعْنا وَيْحَكَ نَنْزِلُ في هذِهِ القَرْيَةِ أوْ هذِهِ - يعني نينوى والغاضرية - أوْ هذِهِ».

يعني شفيّة، قال: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إليّ عيناً عليّ.

فقال له زهير بن القين: إنّي والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلاّ أشدّ ممّا ترون يا بن رسول الله إنّ قتال هؤلاء القوم السّاعة أهون علينا من قتال مَن يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قِبل لنا به.

فقال الحسين عليه السلام:

«ما كُنْتُ لأَبْدَأهُمْ بِالْقِتالِ».

ثمّ نزل وذلك اليومَ يومَ الخميس وهو اليوم الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين.

ثم أقبل - سلام الله عليه - على أصحابه، فقال:

«النّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيا وَالدّينُ لَعِقٌ عَلى ألْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ ما دَرَّتْ مَعايِشُهُمْ، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ».

ثم قال:

«أهذِهِ كَرْبَلاءُ؟».

فقالوا: نعم يا بن رسول الله.

فقال عليه السلام:

«هذا مَوْضِعُ كَرْبٍ وَبَلاءٍ، ههُنا مَناخُ رِكابِنا، وَمَحَطُّ رِحالِنا، وَمَقْتَلُ رِجالِنا، وَمَسْفَكُ دِمائِنا».

قال: فنزلَ القوم وأقبل الحرّ حتى نزل حذاء الحسين عليه السلام في ألف فارس، ثمّ كتب إلى ابن زياد لعنه الله يخبره بنزول الحسين عليه السلام بكربلاء.

وفي رواية عن أبي مخنف في مقتله باسناده عن الكلبي أنه قال: وساروا جميعاً إلى أن أتوا إلى أرض كربلاء وذلك في يوم الأربعاء فوقف فرس الحسين عليه السلام من تحته فنزل عنها وركب أخرى فلم ينبعث من تحته خطوة واحدة ولم يزل يركب فرساً بعد فرس حتى ركب سبعة افراس وهنّ على هذا الحال فلما رأى الإمام ذلك الأمر الغريب، قال:

«ما يُقالُ لِهذِهِ الأَرْضِ؟».

قالوا: أرض الغاضرية، قال:

«فَهَلْ لَها اسْمٌ غَيْرُ هذا».

قالوا: سمي نينوى، قال:

«هَلْ لَها اسْمٌ غَيْرُ هذا».

قالوا: تسمى بشاطي الفرات، قال:

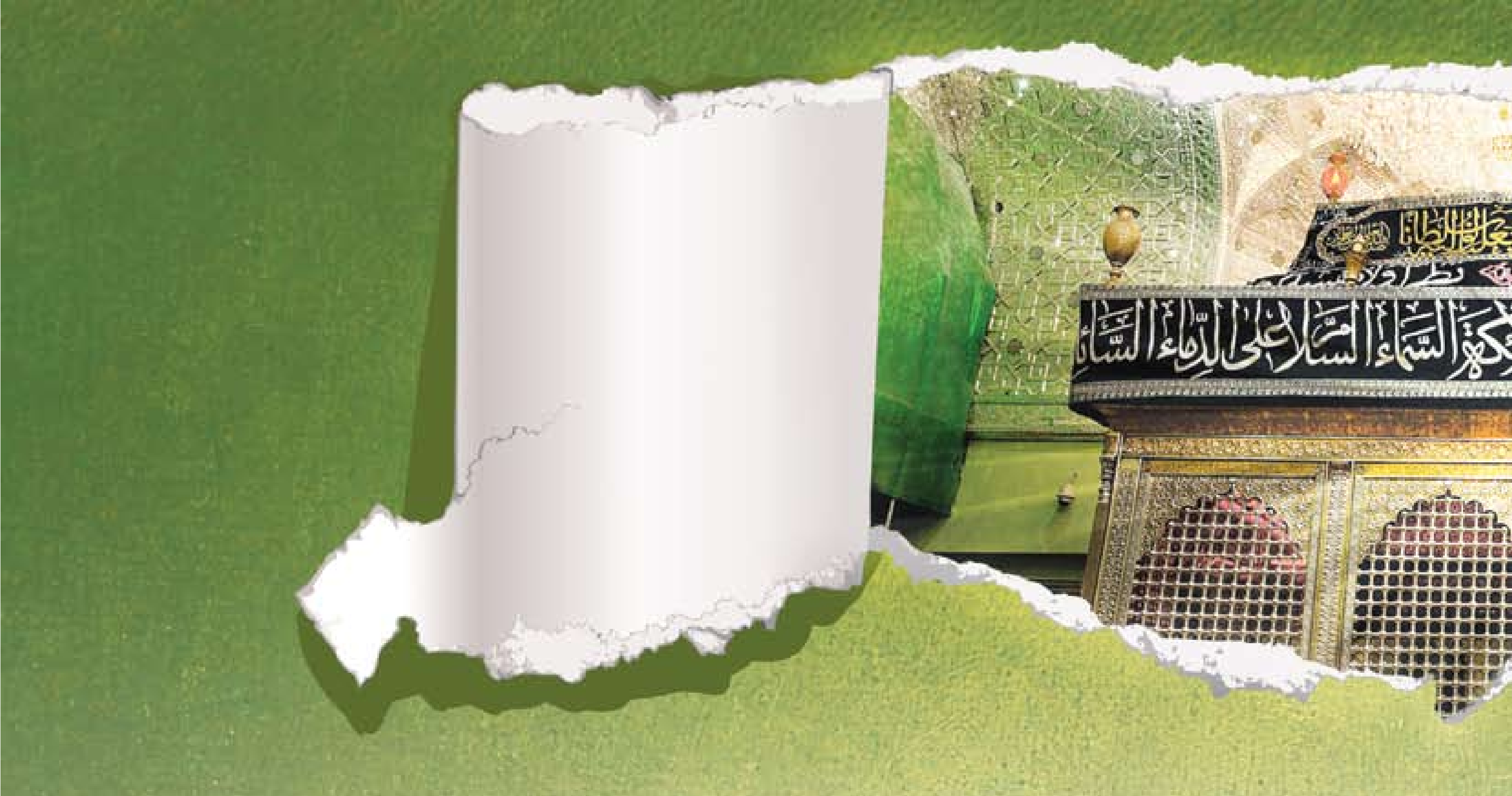
«هَلْ لَها اسْمٌ غَيْرُ هذا».

قالوا: تسمّى كربلا، فتنفّس الصعدا وقال:

«أرْضُ كَرْبٍ وَبَلاءٍ».

ثمّ قال:

«قفُوا وَلا تَرْحَلُوا مِنْها، فَها هُنا وَاللهِ مَناخُ رِكابِنا، وَها هُنا وَاللهِ سَفْكُ دِمائِنا، وَها هُنا وَاللهِ هَتْكُ حَرِيمِنا، وَها هُنا وَاللهِ



قَتْلُ رجالنا، وَها هُنا وَاللّه ذِبْحُ أطْفالنا، وَها هُنا وَاللّهَ تُزارُ قُبُورنا، وَبِهذِه التُّرْبَةِ وَعَدني جَدّي رَسُولُ اللّه ولا خُلْفَ لِقَوْله».

وقال القندوزي: فساروا جميعاً إلى أن انتهوا إلى أرض كربلاء، إذ وقف جواد الحسين ـ عليه السلام ـ، وكلّما حثّه على المسير لم ينبعث من تحته خطوة واحدة، فقال الإمام ـ عليه السلام ـ:

«ما يُقالُ لهذه الأرض؟».

قالوا: تُسمَّى كربلاءَ، فقال:

«هذه وَاللّهِ أرْضُ كَرْبٍ وَبَلا، هاهُنا تُقْتَلُ الرِّجالُ وَتُرْمَلُ النِّساءُ، وَهاهُنا مَحَلُّ قُبُورِنا وَمَحْشَرُنا، وَبهذا أخْبرَني جَدّي صَلَّى اللّه عَلَيْه وَآله وَسَلَّم».

وَقالَ ـ عليه السلام ـ:

«قفُوا وَلا تَبْرَحُوا، هاهُنا وَاللّه مَناخُ رِكابنا، وهاهُنا وَاللّه مَحَطُّ رحالنا، وَهاهُنا وَاللّه تُسْفَكُ دماؤُنا، وَهاهُنا وَاللّه يُسْتَباحُ حَريمُنا، وَهاهُنا وَاللّه مَحَلُّ قُبُورِنا، هاهُنا وَاللّه مَحْشَرُنا وَمَنْشَرُنا».

وكتب ابن زياد لعنه اللّه إلى الحسين عليه السلام: أمّا بعد يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلا، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد ـ لعنه اللّه ـ أن لا أتوسّد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللّطيف الخبير، أو ترجع إ لى حكمي وحكم يزيد ابن معاوية والسّلام.

فلمّا ورد كتابه على الحسين عليه السلام وقرأه رماه من يده ثم قال:

«لا أفْلَحَ قَوْمٌ آثَرُوا مَرْضاةَ أنْفُسِهِمْ عَلى مَرْضاةِ الخالِقِ».

فقال له الرسول: جواب الكتاب أبا عبد اللّه؟ فقال:

«ما لَهُ عِنْدي جَوابٌ؛ لأنَّهُ قَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ».

فرجع الرسول إليه فخبّره بذلك، فغضب عدوّ اللّه من ذلك أشدّ الغضب.

كتابه عليه السلام إلى أشراف الكوفة

نزل الحسين عليها لسلام في موضعه ذلك، ونزل الحرّ بن يزيد حذاءه في ألف فارس، ودعا الحسين عليه السلام بدواة وبيضاء وكتب إلى أشراف الكوفة ممن كان يظنّ أنه على رأيه:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم، مِنَ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيّ إلَى سُلَيْمانَ بْنِ صُرَدٍ، وَالْمُسَيِّبِ ابْنِ نَجَبَة، وَرُفاعَة بْن شَدّاد، وَعَبْدِ اللّه بْنِ والٍ، وَجَماعَة الْمُؤْمِنينَ، أمّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَآله وَسَلَّمَ قَدْ قالَ في حَياته: (مَنْ رَأى سُلْطاناً جائراً مُسْتَحلاً لحُرَمِ اللّه، ناكثاً لعَهْدِ اللّه، مُخالفاً لسُنَةِ رَسُولِ اللّه، يَعْمَلُ في عِبادِ اللّه بالإثْمِ وَالعُدْوانِ ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ بقَوْلٍ وَلا فعْلٍ، كانَ حَقيقاً عَلَى اللّهِ أنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ)، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ هؤُلاءِ الْقَوْمَ قَدْ لَزمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ، وَتَوَلَّوا عَنْ طاعَةِ الرَّحْمنِ، وَأظْهَرُوا الْفَسادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأثَرُوا بالْفَيْءِ، احَلُّوا حَرامَ اللّه، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ، وَإنّي أحَقُّ بهذا الأمْرِ لقَرابَتي مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ.

وَقَدْ أتَتْني كُتُبُكُمْ وَقَدْ قَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ ببَيْعَتكُمْ، أنَّكُمْ لا تُسَلِّمُوني وَلا تَخْذُلُوني، فَإنْ وَفَيْتُمْ لي ببَيْعَتكُمْ فَقَدْ أصَبْتُمْ حَظَّكُمْ وَرُشْدَكُمْ، وَنَفْسي مَعَ أنْفُسكُمْ، وأهْلي وَوَلَدي مَعَ أهْليكُمْ وَأوْلادكُمْ، فَلَكُمْ بي أسْوَةٌ، إنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عُهُودَكُمْ وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتَكُمْ، فَلَعَمْري ما هيَ منْكُمْ بنُكْر، لَقَدْ فَعَلْتُمُوها بأبي وَأخي وَابْنِ عَمّي، وَالْمَغْرُورُ مَن اغْتَرَّ بكُمْ، فَحَظَّكُمْ أخْطأتُم، وَنَصيبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ، وَمَنْ نَكَثَ فَإنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِه، وَسَيُغْنيني اللّه عَنْكُمْ وَالسَّلامُ».

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى قيس ابن مسهر الصيداوي، ولمّا بلغ الحسين عليه السلام قتل قيس استعبر باكياً، ثم قال:

«اللّهُمَّ اجْعَلْ لَنا لشيعَتِنا عنْدَكَ مَنْزِلاً كَريماً، وَاجْمَعْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ في مُسْتَقَرٍ مِنْ رَحْمَتكَ إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قدير».

ثم إنّ الحسين عليه السلام أمر بنصب الخيام للحريم والأولاد، وجعل يصلح سيفه وآلة حربه وهو يبكي ويقول هذه الأبيات:

أهلُ العِراقِ هَلْ لَكُمْ خَليل
وَلَكُمْ بِالإشْرافِ الْفَضيلِ

وَالأمْرُ في ذلِكَ للْجَليل
وَكُلُّ حَيٍّ سالِكُ سَبيلِ

ما أفْرُقُ النَّقْلَةَ وَالرَّحيل
وَكُلُّ شَيءٍ آلَةُ دَليلٍ[2]

---

(1) سورة القصص، الآية: ٤١.

(2) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص٣٧٢ ـ ٣٧٨.

الشبهات في القرآن الكريم

ما زال قطاعات من الأمة تعاني من الآثار السلبية حتى الآن لتفسير القرآن حسب الآراء الشخصية، وتحريفه عن الواقع.

مثلاً

يفسرون قوله تعالى: ((...ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...))، بأن على الفرد أن لا يعمل، ولا يجاهد، ولا يتحرّك، لأن ذلك يعني (التهلكة) التي قد نهانا الله عنها.

وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ...))، بأن مسؤولية الفرد محصورة في إطار ذاته، ولا شأن له بالآخرين؟ فليذهب العالم كله إلى الجحيم! ليس ذلك مهماً! لهم أن يحافظ الفرد على صومه وصلاته، وبعض آخر من الواجبات الفردية وليس أكثر من ذلك.

ويقول شاعرهم في ذلك:

وما أبالي إذا نفسي تطاولني
على النجاة بمن قد ضل أو هلكا

ويفسرون (الصبر) الذي رد الأمر به كثيراً في القرآن الكريم والسنة الشريفة، بأنه يعني: الخضوع للطواغيت، والاستسلام لهم.

و(التقية) بأنها تعني: الجمود والتوقف.

و(التوكل) بأنه يعني: إيكال المسؤوليات إلى الله، والجلوس في زوايا البيوت دون أي عمل.

و(الزهد) بأنه يعني: اعتزال الدنيا، وترك (الفاسقين) و(الكفار) يمرحون فيهاويلعبون، وانتظار ثواب الله في الآخرة، بدلاً من ذلك، وهكذا وهلم جراً.

وهذا هو أحد مصاديق (التفسير بالرأي) المنهي عنه في الروايات، والذي يعني حمل آيات القرآن الكريم على طبق (الآراء) التي تكونت للإنسان من خلال أهوائه وشهواته.

إن القضية تبدأ بـ(هوى) يسعى خلفه الإنسان.

وعلى مر الزمن: يتحول هذا (الهوى) إلى رأي ـ ونظرية.

ثم يحاول الإنسان ـ تطويع (الدين) ليأتي مؤيّداً، بل ومشجعاً على هذا (الرأي).

وهنا يأتي الحديث الشريف:

«من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

ثانيا: المسبقات الفكرية المترسّبة في عقلية الفرد.

فهنالك كثيرون يقرأون القرآن وأدمغتهم مشحونة بالأفكار، والرؤى والمفاهيم المسبقة، ولذلك فهم لا يرون القرآن إلا من خلال أفكارهم، ولا يجدون في القرآن إلا ما يؤيد هذه الأفكار.

تماما، كالذي يضع على عينيه نظارة سوداء، إنه يرى جميع الأشياء بلون نظارته!

وكذلك هؤلاء، فهم يرون آيات القرآن بلون المفاهيم القابعة في عقولهم.

إنهم يحاولون فهم القرآن كما تقتضي اتجاهاتهم وأفكارهم، بدل أن يكونوا (تلامذة) متواضعين بين يديه.

إنهم يحاولون توجيه القرآن على حسب ما تقتضيه أفكارهم،بدل أن يحاولوا تهذيب أفكارهم على حسب ما تقتضيه مفاهيم القرآن الرفيعة، وهذا هو عين الخطأ.

وهذا هو أيضا أحد مصاديق التفسير بالرأي المنهي عنه.

ونجد في التاريخ، كما في التاريخ المعاصر: أمثلة كثيرة على ذلك.

وأول ما نجده في هذا المجال هو: تفسير القرآن الكريم على حسب (الأفكار العقائدية) المسبقة، كما نلمس ذلك في أصحاب مذاهب من أمثال (الأشاعرة) أو (الباطنية) أو (الكراميّة) أو غيرهم.

هذه الطوائف كانت تحمل آراء خاصة في (الله) و(صفاته الثبوتية) و(صفاته السلبية) وغير ذلك، وعندما اصطدمت عقائدها بالقرآن أخذت تفسير الآيات القرآنية على حسب آرائها السابقة.

ونجد كذلك: تفسير آيات القرآن حسب (الفكر الصوفي) و(الذوق العرفاني) ـ بشكله المنحرف ـ، والذي جاء من أجل: تدعيم أفكار هذين الاتجاهين وإعطائهما صبغة (شرعية).

فمثلا: باعتبار أن مذهب بعض العرفان هو (وحدة الوجود)، لذلك فهم يفسرون ـ قول هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام: ((قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي...)).

يفسرونه بأن موسى عليه السلام: بعد أن عاد من (الطور) ورأى قومه قد عبدوا العجل، عاتب أخاه هارون عليه السلام قائلاً له: (لماذا لم تدع الناس يعبدون العجل؟ ألا تعلم أن الله سبحانه يُحبّ أن يعبد في أية صورة كان المعبود!

وكذلك أيضاً يفسر بعض العرفاء قوله تعالى: ((اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى))، بأن المقصود من (فرعون) ليس شخصاً معيناً، بل المقصود به (القلب القاسي)، وهذه الآية تشير ـ إلى مجاهدة هذا القلب.

وهنالك تفسير القرآن الكريم حسب (الفكر المادي)، والذي حدث متأثّراً بالفترة التي أخذت الحضارة الغربية

تخطو فيها خطوات واسعة في المجالات العلمية التكنولوجية، مما أبهر بريقها عيون بعض المسلمين.

هؤلاء أخذوا يفسرون القرآن بطريقة خاصة، ترك الاتجاه المادي بصماته واضحة عليها.

فالملائكة والجن والشياطين فسروها بـ(القوى الطبيعية) التي تسيّر الإنسان والكون.

ومعاجز الأنبياء أخذت تعطي مدلولات جديدة، وتفسر بشكل جديد.

وهكذا وهلم جرا.

إن كل هذه الأنواع من التلاعب بمعاني القرآن الكريم وتوجيه الآيات القرآنية على حسب الأفكار (العقائدية المسبقة) أو (الأفكار الصوفية والعرفانية) أو (الاتجاهات المادية)، كل هذه تعتبر من أنواع التفسير بالرأي ـ المرفوض أساساً من قبل الدين.

أما الاحتمال الآخر في معنى (التفسير بالرأي) فهو:

التسرع في تفسير الآيات القرآنية على حسب ما يظهر للفرد في بادئ الرأي، ووفق ما توحي إليه ظنونه الأولية من دون الاستيقان، ومن دون الرجوع إلى سائر الآيات والروايات الواردة في ذلك الموضوع.

ذلك لأن الرأي في اللغة يعني: (الظن) و(التخمين)، فالتفسير بالرأي يعني: أن يفسر القرآن بسبب بعض الظنون النيئة، التي لم تنضج بعد، رغم: (أن الظن لا يغني من الحق شيئاً).

ومما يجدر ذكره في هذا المجال، هو أن امرأة على عهد عمر بن الخطاب كانت تمارس الجنس مع مملوكها وهذا بالطبع أمر محرم في نظر الإسلام.

فذكر ذلك لعمر، فأمر أن يؤتى بها، ولما جاءت سألها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: تأولت آية من كتاب الله: ((وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ...)).

وفي بعض الروايات: (كنت أراه يحل لي بملك يميني كما يحل للرجل المرأة بملك اليمين) إلى آخر القصة.

ومن هذا القبيل: أن يقرأ الإنسان قوله تعالى: ((ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ))، فيتصور الله جسماً قد تربع على عرشه العظيم! إن هذا الشكل من الفهم المتسرع للآيات القرآنية على حسب ما يقتضيه الظن والتخمين، وبعض الاستحسانات العقلية، هو ما نهت عنه الروايات السابقة.

٣ ـ فهم آيات القرآن الكريم المرتبطة بالأحكام، والآيات المشابهة، والآيات المجملة وما شابه ـ بعيداً عن روايات أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وبدون توفير قاعدة علمية رصينة تؤهل الإنسان للاستنباط، ذلك لأنه في عهد الرسالة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يشرح للمسلمين الآيات الغامضة، المبهمة، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ((...وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ...)).

ولكن: ماذا بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ لقد خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بعده: كتاب الله، والعترة، وقد قرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن بالعترة في أحاديث كثيرة، من هنا، فإن أية محاولة للفصل بينهما هي محاولة خاطئة.

وإن كثيراً من الروايات التي ورد فيها النهي عن (التفسير بالرأي) جاءت رداً على أولئك الذين كانوا يحاولون فهم القرآن بعيداً عن أهل البيت عليهم السلام، بل ونقيضاً لهم ـ وفي بعض الأحيان ـ كقتادة وغيره.

كما جاءت مجموعة من الروايات في هذا الصدد:

منها: ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه، ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا عن مسألة الأوصياء فيعرّفونهم».

وقال عليه السلام: «إنهم (أي المخالفين) ضربوا القرآن بعضه ببعض، واحتجوا بالمنسوخ، وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالخاص وهم يظنون أنه العام، واحتجوا بأول الآية وتركوا السنة في تأويلها ولم ينظروا إلى ما يفتح به الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلوا وأضلوا».

ونجد أن فهم القرآن ـ في طوائف من الآيات ـ بشكل مستقل وبعيداً عن أهل البيت أو بدون توفر القاعدة العلمية الكافية (المتمثلة في الوصول إلى درجة الاجتهاد) يعدّ (تفسيراً بالرأي).

لقد برزت أمامنا حتى الآن ثلاثة احتمالات في معنى (من فسر القرآن برأيه) وهي:

١ ـ فسر القرآن بآرائه الشخصية، وذلك بقسميه: فسر القرآن بهواه، وفسر القرآن بمسبقاته الفكرية.

٢ ـ فسر القرآن بظنه.

٣ ـ فسر القرآن بفهمه المستقل عن أهل البيت عليهم السلام، أو بدون توفر القاعدة العلمية الكافية.

فالسؤال هو أي واحد من هذه المعاني هو المقصود؟!

والجواب: يمكننا أن نستفيد من إضافة كلمة (رأي) إلى (الهاء) في قول الإمام (برأيه) معنى عاماً يشمل هذه المعاني، وذلك هو:

(تفسير القرآن بالرأي الشخصي، النابع من الذات، لا من الواقع)، وهذا المعنى العام يشمل:

القسم الأول من المعنى الأول، لأنه تفسير للقرآن بالهوى وليس بالواقع.

والقسم الثاني من المعنى الأول لأنه تفسير للقرآن بالتعصب والأفكار المسبقة، وليس بالواقع.

والمعنى الثاني، لأنه تفسير للقرآني بظنه الشخصي الذي لا يغني من الحق شيئاً، وليس بالواقع.

والمعنى الثالث، لأنه تفسير للقرآن بالأفكار الشخصية، وليس بالواقع (الذي مقياسه هو: أهل البيت عليهم الصلاة والسّلام، والذي تكشف عنه القاعدة العلمية المشار إليها).

وهكذا نجد: أن الروايات التي تنهى عن (التفسير بالرأي) لا تقصد بذلك النهي عن التدبر في القرآن الكريم، وإنما تنهى عن (تفسير القرآن بالرأي الشخصي النابع من الذات، لا من الواقع، بمختلف صوره وأشكاله).[١]

---

(١) التدبر في القرآن للسيد محمد رضا الشيرازي: ج١، ص٣٩ ـ ٤٨.



قـال الإمـام أمير المؤمنين عليه السـلام
«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقامَ انْحِناءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعادَ فَرائِصِهِ».

في هـذا المقطـع مـن خطبتـه يصـف الإمام(عليـه السـلام) الأئمة مـن أهل بيت النبي (صلـى الله عليـه وآلـه) بعبـارات قصـيرة عميقـة المعاني، حيـث يتطرق إلى مكانتهـم بعد رسـول الله (صلـى الله عليه وآله) على ضوء ما ورد في الأحاديث النبوية الشـريفة مـن قبيل حديث الثقلين وسـفينة نوح والنجوم.

فقـد وصفهـم في عباراته السـت الأولى بقوله(عليـه السـلام): «هـم موضع سـره، ولجـأ أمـره، وعيبة علمـه، وموئل حكمه، وكهـوف كتبه وجبال دينـه» أنّ كل عبارة من هذه العبارات تشـير إلى أمر معين رغم ما ذهب إليه بعض العلماء والشرّاح من ترادف العبـارات وأنّهـا شـبيهة لبعضهـا البعـض الآخر.

فقد أشـارت العبارة الأولى إلى حقيقة مؤداهـا أنّ الأسـرار الإلهية مودعـة لديهم. وبالبداهة أن يلم بجميع الأسـرار من ينهض بمسـؤولية زعامـة الديـن; حيـث لا ينتظم أمرهـم في هدايـة النـاس وتدبـير شـؤون حياتهـم دون الانطـواء على ذلـك العلم، ولا سيما أنّ زعامتهم لا تختص بزمان دون آخر بل تتعلق بجميع البشرية على مدى العصور والدهور.

ثـم أشـار في العبـارة الثانيـة إلى أنّهـم ملجأ أمر الله. والسـؤال الذي يبرز هنا هل يقتصـر هذا الأمر على الأوامر التشـريعية أم يشـمل الأوامـر التكوينيـة أيضـا؟ يبـدو مـن ظاهر العبـارات السـابقة واللاحقة أن الأوامـر تقتصر على التشـريعية منها حيث يجب على الأُمّة أن ترجع إلى أئمة العصمة في تلقي أوامرهم وإمتثال تعاليمهم.

أمّـا العبـارة الثالثـة فقد عدّهـم (عليه السـلام) عيبـة علـوم الله سـبحانه، ولا يقتصـر ذلـك علـى الأسـرار و الأوامر، بل يشمل جميع العلوم اللازمة لهداية الناس أو ذات الصلـة بهذه الهداية فهي مودعة لديهم مخزونة عندهـم. وفي العبارة الرابعة يتضح أنّهـم المرجع في الأحكام الإلهية التي يجب علـى الأُمّـة الرجـوع إليهـم في الاختلافات على المسـتوى الفكـري أو القضائي ليزيلوا عنهـم الفرقـة والاختـلاف ويهدوهم سـواء الصراط.

وإذا اعتبرنـا «موئـل حكمـه» علـى وزن إرم جمـع حكمـة فـانّ فـارق هـذه العبـارة مـع العبـارات السـابقة سـيتضح تمامـا، لأنّ الـكلام هنا سـيكون في فلسـفة وحكمة الأحـكام الإلهية التي تؤلـف جزءاً من علوم الأنبياء والأئمة المعصومين(عليهم السلام).

أمّا قوله(عليه السـلام) «و كهوف كتبه» فيكشـف اللثـام عن هذه الحقيقـة وهى أنّ مضامـين جميع الكتـب السـماوية موجودة عندهم. وهذا يشـبه إلى حـدّ بعيد ما قاله علي(عليـه السـلام): «أما والله لو ثنيت لي الوسـادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم... وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم...».

و أخـيراً فقـد وصفهم(عليـه السـلام) بأنّهـم جبـال دينـه، ولعـل العبـارة إشـارة واضحة إلى ما أورده القرآن الكريم في عدد من آياته الشـريفة بشـأن خصائص الجبال ودورهـا في حفظ إسـتقرار ونزول البركات والخيرات فقد صرّحت الآية ١٥ من سـورة النحـل قائلـة (وَأَلْقى فِي الأَرْضِ رَواسِـيَ أَنْ تَمِيـدَ بِكُمْ وَ أَنْهاراً وَسُـبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) فالواقع أنّ الجبال - كما ورد في تفسير هذه الآية وسائر الآيات المشابهة - تقوم من جانب باحتواء الضغوط المسلطة على الأرض من باطنها وظاهرهـا، ومـن جانـب آخر فهي مصادر عظيمة للأنهار والآبار وعيون الماء.

ومـن ثم فهي معين لا ينضب من المعادن النفيسـة القيمة. ووجه الشـبه هـو أنّ أئمة العصمة(عليهـم السـلام) مصـدرٍ لسـكينة الأفـكار وري القلـوب واغنـاء الأمّـة بمـا يختزنونـه مـن معـادن نفيسـة. ثـم يواصل الإمام(عليـه السـلام)كلامه إثـر ذكره لهذه الصفـات فيقـول « بهـم أقام انحنـاء ظهره وأذهب إرتعاد فرائصه».

أمّـا انحنـاء الظهـر فهـي كنايـة رائعـة لشـدة المعضلات التي طالت الدين من قبل الأعداء العلماء والأصدقاء الجهلاء فانبرى لهـا هؤلاء الكرام ليبقوا على الدين شـامخاً لاينالـه تحريف المحرفـين ولا فتن المبطلين. والتعبـير «ارتعـاد الفرائص» ارتعـاد اللحمة التي تغطـي القلب بين الجنب والكتف وهي كنايـة لطيفـة عـن الاضطـراب والاختـلال الذي يطال الدين من قبل المدارس الالحادية والانحرافـات الدينيـة والتي يقـف بوجهها أئمة الهـدى فيقضون عليها فيعيدون للدين صبغته الحقيقة الناصعة.

لا يقاس بآل محمد أحد من الناس

وقـال امـير المؤمنـين عليه السـلام: «لا يُقـاسُ بِآلِ مُحَمَّد(صلـى الله عليه وآله)مِنْ هَـذِه الأُمَّـةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَـوَّى بِهِـمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً. هُمْ أَسـاسُ الدِّين، وَعِمادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفيءُ الْغالي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التّالي، وَلَهُمْ خَصائِصُ حَـقِّ الْوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِراثَـةُ: اَلاْنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِه وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِه».

يعود (عليه السـلام) لبيـان أوصاف آل محمد(صلـى الله عليه وآلـه) بعبارات أكثر صراحـة ووضوح ضمن إشـارته. كعادته في قلـة الألفـاظ وسـعة المعانـي. إلى منزلتهم الرفيعة وحقوقهم السليبة فيقول: «لا يقاس بـآل محمّـد صلـى الله عليه وآلـه من هذه الأمّـة أحد» ودليل ذلـك لا نقاش فيه، لأنّهم وعلى

ضـوء صريـح الحديث النبوي الشـريف حديـث الثقلـين الـذي نقلته جميـع مصادر الفريقـين عدل القرآن الكريم، ونعلم جميعاً أن ليـس هنالـك مـن الأمّـة أحـد مـن قرن بالقـرآن، أضـف إلى ذلـك فهنـاك الآيـات القرآنية الـتي تؤيد هذا المعنى من قبيل آية التطهير التي تصرح بعصمتهم وآية المباهلة

الـتي عـدت البعـض منهـم كنفـس رسـول الله (صلـى الله عليـه وآله) وسـائر الآيات والروايات.

و بغـض النظـر عمّا تقدم فـان علومهم ومعارفهـم التي رويت عنهـم هي الأخرى لا يمكن مقارنتها بعلوم الناس ومعارفهم.

فهل روى الآخرون عشـر معشـار ما ورد في نهـج البلاغه؟ وهـل هناك من يقوى على الإتيان بدعاء من أدعية الصحيفة السجادية. وما بالك في الأحكام الشـاملة الواسعة التي رويـت عن الإمـام الباقـر والصادق(عليهما السـلام) بشـأن جزئيات المسـائل الدينية، والمناظرات التي عقدها الإمام الرضا(عليه السـلام) مـع سـائر زعمـاء الأديـان حـول مختلف المسائل العقائدية والأبواب الفقهية؟ آنذاك يتحدث عن دليل العبارة السابقة: «و لا يسـوى بهـم من جرت نعمتهـم عليه أبدا» وأي نعمة أعظم من تلك النعمة.

فلـو لا تضحيـات علي(عليـه السـلام) لمـا ذاق الآخـرون طعـم الإسـلام. فسـيرة علي(عليه السـلام) منذ ليلة المبيت ومرورا بموقعة بدر وأحد والخندق وخيبر وغزوات الإسـلام كلها شـواهد على المعنى المذكور و قـد بلغت منزلته من السـمو والرفعة بحيث قـال رسـول الله (صلـى الله عليـه وآلـه) «ضربـة علي يوم الخندق أفضـل من عبادة الثقلـين» وفي عبارة أخرى «لمبارزة علي(عليه السلام) لعمرو بن عبدود أفضل من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة».

و الطريـف في الأمـر أنّ الإمام(عليـه السلام) يتحدث عن نعمة وجود أهل البيت بشكل دائمي مستمر و خالد دون اقتصارهم على عصر دون آخر، ولا غرو فثمار الشجرة الإسـلامية المباركة التي نقطفها إنّما زرعها الرسـول الكريم(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهـم السـلام): «لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا».

ثـم يتعرض(عليـه السـلام) إلى أمرين آخريـن ينبعـان مـن الأمـر السـابق فيقول: «هم أسـاس الدين وعمـاد اليقين». نعم فقد نزل الوحي في بيتهم وتربوا في أحضانه وما عندهـم من علوم ومعارف إنّما أخذوها عن رسـول الله (صلى الله عليه وآله) ولما كانت العلوم والأسـرار الإلهية مودعـة لديهم فهم أئمة الإيمان ودعاة اليقين.

ثـم يخلـص الإمام(عليـه السـلام) إلى هـذه النتيجـة: «إليهـم يفـيء الغالـي، وبهم يلحـق التالي» وكيف لا يكونـون كذلك و هم الصراط المستقيم والأمّة الوسطى وعندهم المعـارف الإلهية الحقة والعقائد الإسـلامية الأصيلة البعيدة عن كل إفراط وتفريط.

ثم يقول(عليه السلام): «و لهم خصائص الولاية». وتصدر الجملـة بلهم تفيد إقتصار هـذه المزيـة عليهم(عليهم السـلام). وكيف لا يكونـون أصلـح مـن الجميع وهـم دعائم الدين وأركان اليقين الذين يمثلون الإسـلام الأصيل الـذي لا يعرف الإفراط والتفريط، وهـم النعمـة الجارية على أفـراد الأمّة إلى يـوم القيامـة. ولذلـك قال(عليه السـلام): «وفيهم الوصية والوراثة».

نسـتنتج ممّا سبق أنّ وصية النبي(صلى الله عليـه وآله) بهم واسـتخلافهم من بعده إنّمـا تسـتند لمـا مـر معنـاً سـابقاً، لا على أسـاس القرابة والنسب. ولا يخفى أنّ المراد بالوصيـة والوراثة هنـا الخلافة والنبوة، بل حتـى لو افترضنـا أنّ الوراثة هنا هي وراثة علـوم النبي(صلى الله عليه وآله). كما ذهب إلى ذلك البعض. فانّ الأمر سـيقود بالتالي إلى جدارتهم باحراز هذا المقام؛ لانّ خليفة النبي وإمام الخلق لابدّ أن يكون وارثاً لعلوم النبي(صلى الله عليه وآله)، وأنّ خليفته هو وصيـه؛ فوراثـة الأموال. كما نعلم. ليسـت بـذات قيمة والوصية في الأمور الشـخصية والاعتيادية لا تحظى بأية أهمية، ولاشك أنّ أولئك الذين سعوا جاهدين لتفسير الوصية والوراثة بمثل هذه المعاني إنّما يكشفون عن مدى تعصبهم استنادهم إلى العناد والأفكار المسبقة.

فليس هنالك من مسـألة مهمّة تنسـجم وقوله(عليه السـلام): «أساس الدين وعماد اليقين وخصائص حق الولاية» سـوى مسألة خلافـة رسـول الله(صلـى الله عليـه وآله). وأخـيراً يخاطب(عليـه السـلام) الأمّـة في زمانـه وكأنّهـم قـد تنكروا لبعـض النعم ولا سـيما عـودة الحـق السـليب «الآن إذا رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منقله».

يتضح ممّا قيل بشأن الوصية والوراثة أنّ المراد بالحق هنـا هو الولاية والخلافة التي لا تليق بسـوى أهـل البيت(عليهم السـلام) وأنّ محلهـم مـن الخلافة محـل القطب من الرحى.

تجسّم الأعمال يوم القيامة

روى ثقة الإسلام في الكافي عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد ابن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن سدير الصيرفيّ، قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في حديث طويل: « إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه، كلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع ولا تحزن وابشر بالسرور، والكرامة من الله عزّ وجلّ حتّى يقف بين يدي الله تعالى، فيحاسبه حساباً يسيراً ويأمر به إلى الجنّة والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: يرحمك الله، نعم الخارج خرجت معي من قبري، وما زلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ حتّى رأيت ذلك، فمن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقني الله منه » (الكافي، ج ٢، ص ١٩٠، باب إدخال السرور على المؤمنين).

دلالة الحديث على تجسم الأعمال يوم القيامة

في هذا الحديث دلالة على تجسّم الأعمال في النشأة الأُخرويّة، بل قد ورد في بعض الأخبار تجسّم الاعتقادات أيضاً، ولا بُعد في أنّ الأعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة تظهر في الآخرة صوراً نورانيّة مستحسنة، موجبة لصاحبها كمال السرور والابتهاج، والأعمال السيّئة بعكس ذلك، ويرشد إلى ذلك ظواهر كثير من الآيات والروايات.

الآيات الدالة على تجسم الأعمال

قال الله تعالى: « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ » (آل عمران ٣٠).

وقال تعالى: « يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ❖ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَ مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (الزلزلة ٦ ـ ٨). ومن جعل التقدير: ليروا جزاء أعمالهم ولم يُرجع ضمير «يره» إلى العمل، فقد أبعد.

وقال تعالى: «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُ بِالْكَفِرِينَ » فليس المراد: إنّها ستحيط بهم في النشأة الأُخرى بل هو على حقيقته من معنى الحال، فإنّ قبائحهم الخلقيّة والعمليّة والاعتقاديّة محيطة بهم في هذه النشأة، وهي بعينها جهنّم التي ستظهر لهم في النشأة الآخرة بصورة النار وعقاربها وحيّاتها.

وقس على ذلك قول الله عزّ وجلّ: « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ».

وكذلك قوله سبحانه: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا»؛ إذ ليس المراد أنّها تجد جزاءه بل تجده بعينه، لكن ظاهراً في جلباب آخر.

وقوله تعالى: «فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » كالصريح في ذلك، ومثله في القرآن العزيز كثير.

شهادة الأحاديث بتجسم الأعمال

وورد في الأحاديث النبويّة منه ما لا يحصى نختار منها:

١: قوله صلى الله عليه وآله: « الذي يشرب في آنية الذهب والفضّة إنّما يجرجر في جوفه نار جهنّم».

٢: وقوله صلى الله عليه وآله: « الظلم ظلمات يوم القيامة ».

٣: وقوله صلى الله عليه وآله: «الجنّة قيعان، وأنّ غراسها: سبحان الله وبحمده».

٤: وما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (من صلى الصلوات المفروضات في أول وقتها وأقام حدودها رفعها الملَك إلى السماء بيضاء نقية وهي تهتف به تقول: حفظك الله كما حفظتني، واستودعك الله كما استودعتني مَلَكا كريما، ومن صلاها بعد وقتها من غير علة فلم يقم حدودها رفعها الملَك سوداء مظلمة وهي تهتف به ضيعتني، ضيعك الله كما ضيعتني ولا

رعاك الله كما لم ترعني) (الوسائل كتاب الصلاة أبواب المواقيت باب ٣ ح٤٦٨٨).

هذه الرواية دلالتها على تجسم الأعمال واضحة فقد تحدثت عن الصلاة وفرضت أنها تتكلم وتدعو لمن أقامها بحدودها وشرائطها بالحفظ والرعاية من الله سبحانه وتعالى كما أنها تدعو على من ضيعها ولم يقمها في وقتها بحدودها وشرائطها بالضياع وعدم الرعاية من الله، وهي في نفس الوقت إما أن ترفع بيضاء نقية إذا أتى بها المصلي في وقتها، وإما أن ترفع سوداء مظلمة ترجع على صاحبها إذا صلاها خارج وقتها. فهذه الحالة التصويرية للصلاة وحديثها مع من يقيمها في وقتها أو يصليها في خارجها تدل على أنها مجسمة ولها صورة حقيقية في الباطن غير الصورة الخارجية التي يمارسها المصلي، والصورة الحقيقية هي التي تتحدث لمصليها وهي معراج المؤمن، وقربان كل تقي وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتدفع البلاء عن صاحبها في الدنيا والآخرة وهي التي يشاهدها المصلي في الآخرة مجسمة، وقد تعددت الروايات عن تجسم الصلاة وحديثها عن نفسها وعمن أقامها أو تركها.

إن تهاون المسلمين بالشريعة الإسلامية عموماً وأداء الصلاة خصوصاً مما يؤسف له وقد ركبهم الذل والهوان وغزاهم عدوهم في عقر دارهم حتى ذلوا وتعرضوا للمخاطر والكوارث في الدنيا و لَعذاب الآخرة أعظم. إن المسلم إذا ترك الصلاة قرب من الكفر ولم يكن بينهما حاجز، هذا من الناحية العقائدية وشمله الذل والهوان من الناحية الاجتماعية وقرب إلى الفقر من الناحية الاقتصادية وعرِّض إلى الكوارث والحوادث والمخاطر وابتلي بأنواع البلاء عقوبة له كما قال تعالى: ((نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) (سورة التوبة ٦٧). وقال ((وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُم أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) (سورة الحشر ١٩).

٥: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مُطِلٌ عليه، ويتنحى الصبر ناحية، قال: فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه)). (البحار ج٦ ص٢٣٠).

هذه الرواية أحد الأدلة التي تطرح تجسم الأعمال وهي واضحة في دلالتها على المطلوب، فتصور الصلاة على يمين الميت في قبره والزكاة عن يساره و البر مُطِلٌ عليه و في بعض النسخ (مظل) عليه والصبر يتنحى ناحية ليراقب الوضع فهذا التصور لأعمال الخير ومحاورة الصبر لها دال على تجسم مثل هذه الأعمال بل هي صريحة في ذلك.

إلى غير ذلك من الأحاديث المتكثّرة، واللّه الهادي.

تجسم الأعمال في كلمات علماء المذهب

وقال الشيخ البهائيّ رحمة اللّه عليه: (الحقّ أنّ الموزون في النشأة الآخرة هو نفس الأعمال لا صحايفها).

وقال أيضاً: (تجسّم الأعمال في النشآت الأُخرويّة وأن يكون قرين الإنسان في قبره وحشره قد ورد في أحاديث متكثّرة من طرق المخالف والموافق. وقد روى أصحابنا عن قيس بن عاصم، قال: وفدت مع جماعة من بني تميم على النبيّ صلى اللّه عليه وآله فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدهمس، فقلت: يا رسول اللّه، عظنا موعظة ننتفع بها فإنّا قوم نقرّ بالبريّة. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: « يا قيس، إنّ مع العزّ ذلّاً، وإنّ مع الحياة موتاً، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء رقيباً، وعلى كلّ شيء حسيباً، وإنّ لكلّ أجل كتاباً، وإنّه لابدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حيّ، وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك اللّه، وإن كان لئيماً أساءك، ثمّ لا يحشر إلّا معك ولا تحشر إلّا معه، ولا تُسأَل إلّا عنه، فلا تجعله إلّا صالحاً، فإنّه إن صلح أنستَ به، وإن فسد لا تستوحش إلّا منه، وهو فعلك». فقال: يا نبيّ اللّه، أُحبّ أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفتخر به على من يلينا من العرب وندّخره. فأمر النبيّ من يأتيه بحسّان، قال قيس: فاستبان لي القول قبل مجيء حسّان، فقلت: يا رسول اللّه، قد حضرني أبيات أحسبها توافق ما تريد، فقلت:

تخيّر خليطاً من فعالك إنّما
قرينُ الفتى في القبر ما كان يفعل
ولابدّ بعد الموت من أن تعدّه
ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فإن تك مشغولاً بشيء فلا تكن
بغير الذي يرضى به اللّه تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته
ومن قبله إلّا الذي كان يعمل
ألا إنّما الإنسان ضيف لأهله
يقيم قليلاً بينهم ثمّ يرحلُ

ثمّ قال البهائيّ: قال بعض أصحاب القلوب: إنّ الحيّات والعقارب بل والنيران التي تظهر في القيامة هي بعينها الأعمال القبيحة، والأخلاق الذميمة، والعقائد الباطلة التي ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وتجلببت بهذه الجلابيب، كما أنّ الرَوح والريحان، والحور والثمار هي الأخلاق الزكيّة، والأعمال الصالحة، والاعتقادات الحقّة التي برزت في هذا العالم بهذا الزيّ وتسمّت بهذا الاسم ؛ إذ الحقيقة واحدة، تختلف صورها باختلاف المواطن، فتتحلّى في كلّ موطن بحلية، وتتزيّا في كلّ نشأة بزيّ.

---

(١) مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار ج٢ ص٩٢ ـ ٩٦، بإضافات بسيطة.

مجرى التفكر في مخلوقات الله تعالى
الحلقة الأولى

مجرى التفكر في خلق الله سبحانه وتعالى للبشر

لقد تناولنا في الحلقة السابقة مجرى التفكر في معظم مخلوقات رب العالمين على وجه الأرض، وصولاً إلى الإنسان، كما يقول الله سبحانه وتعالى:

((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)).(١)

وسوف نتناول في هذه الحلقة خَلق الإنسان.

إذا نظر في (العروق) وما فيها من العجائب والحكم، فإنها خلقت على نوعين:

(أحدهما) الشرايين: وهي العروق الضوارب المتحركة ومنبتها القلب، ولما كان القلب ينبوع الحياة ومنبع الروح والحرارة الغريزية خلقت هذه العروق مبتدأة منه منتشرة في سائر الأعضاء لإيصال الروح والحياة منه إليها، ولها حركتان، انقباضية يقبض بها الأبخرة الدخانية عن القلب وانبساطية يجذب بها صافي النسيم إليه، ليستريح، ولولا هذا القبض والجذب لاختنق القلب بالبخار الدخاني، وخلقت ذات صفاقين لئلا تنشق بقوة حركتها ولئلا يتحلل ما فيها من الروح، فأوجب الحكمة الإلهية زيادة إحكامها حفظاً لها عن الانشقاق، لقوة حركة الروح، وتقوية المحل الحرارة الغريزية، لئلا يتحلل شيء منها بتحلل محلها.

وواحد من هذه الشرايين ويسمى الشريان الوريدي، لما كان حاملاً لغذاء الرية لأن غذاءها من القلب فيغوص فيها ويصير شعباً، فخلق لذلك ذا صفاق واحد لئلا يزاحم بصلابته الرية لرخاوتها ولينها، مع عدم مصادمة لحمها له عند الحركة لكثرة لينه ورخاوته.

فلم تكن حاجة إلى زيادة استحكامه، على أن الرية تحتاج إلى الغذاء على سبيل الترشح بسرعة وسهولة، وكثرة الصلابة منافية لذلك.

(وثانيهما) العروق الساكنة: وتسمى الأوردة، وشأنها جذب الغذاء من المعدة إلى الكبد ومنه إلى سائر الأعضاء، وهي ذات صفاق واحد لأنها ساكنة فلا يخشى انشقاقها، وجعل واحد منها ويسمى الوريد الشرياني ذا صفاقين لنفوذه في التجويف الأيمن من القلب، فكان اللازم زيادة وثاقته لئلا يعتريه انشقاق بقوة حركة القلب وصلابته، وهو الذي يأتي بغذاء الرية إلى القلب، وإذا خلص عن القلب وجاوزه يأخذ الشريان الوريدي منه الغذاء ويذهب به إلى الرية.

فانظر إلى عجيب حكمة ربك، فإن حامل غذاء الرية ما دام نافذاً في القلب ومصادماً، لحركته خلق صلباً ذا صفاقين وإذا خلق عنه إلى الرية التي لا تتحمل الصلب جعل رخواً ذا صفاق واحد، فسبحانه ما أجل شأنه وأعظم برهانه.

ثم تفكر أيها المتفكر في (الرأس) وعجيب خلقه، حيث ركبه من عظام مختلفة الأشكال والصور، وألف بعضها إلى بعض حتى استوت كرة كما تراه، وجعله مجمع الحواس، ولذا جعله مستديراً، لأن المستدير أبعد من الآفات بالقياس إلى ذي الزاوية، وأعظم مساحة منه مع تساوي إحاطتهما وجعل استدارته إلى طول، لأن منابت الأعصاب الدماغية موضوعة في الطول فلو لم يتسع منبتها لازدحمت وانضغطت، وألف قحفه من ستة أعظم: اثنان بمنزل السقف وأربعة بمثابة الجدران، ووصل بعضها ببضع بالدروز والشؤون، وجعل الجدران أصلب من اليافوخ الذي هو السقف، لأن الصدمات عليها أكثر، وتخلخل اليافوخ مما لابد منه لخروج الأبخرة المتحللة (وعدم ثقله على الدماغ) وفائدة الدروز أن تخرج منها الأبخرة المتحللة في الدماغ لئلا يؤدي مكثها إلى الصداع وغيره من الأمراض الدماغية، وجعل ألب الجدران مؤخرها لأنه غائب عن البصر فلا يحرسه فاحتاج إلى زيادة وثاقة.

وخلق فيها الدماغ ليناً دسماً، لتنطبع فيه المحسوسات بسهولة، ولتكون الأعصاب النابتة منه لزجة لئلا تنكسر، وجعل مزاجه رطباً بارداً لتنفعل القوى المودعة فيه عن مدركاتها، ولئلا يشتعل بالحرارة الحاصلة عن الحركات الفكرية وجعل مقدمة الذي هو منبت الأعصاب الحسية ألين من مؤخره الذي هو منبت أعصب الحركة، لأن الحركة لا تحصل إلا بالقوة، والقوة إنما تحل بالصلابة.

ثم جلل الدماغ بغشاءين: (أحدهما) رقيق لين ملاصق لجوهره، و(ثانيهما) غليظ صلب ملاصق للقحف.

وهو مثقب بثقب كثيرة لاندفاع الفضول منه، وانشعبت منه شعب دقاق تصعد من دروز القحف إلى ظاهره، ليتشبث بها هذا الغشاء بالقحف ولا ينفصل عنه، وجعل بين جزئي الدماغ المقدم والمؤخر حجاباً لطيفاً ليحجب عن مماسة الألين بالأصلب فيتأذى منه.

وخلق الدماغ بين الغشاء الغليظ والعظم نسيجة شبيهة بالشباك، وقد تكونت من

الشرايين الصاعدة من القلب والكبد إلى الدماغ، وقد فرشت هذه الشبكة تحت الدماغ، ليبرد فيها الدم الشرياني والروح، ويتشبه بالمزاج الدماغي بعد النضج، ثم يتخلص إلى الدماغ على التدريج، ولولاه لم يصلح الدم الكبدي والروح القلبي لكثرة حرارتهما لتغذية الدماغ، ولم يناسبا جوهره، وجعل الفرج التي بين فروع هذه الشريانات محشوة بلحم غددي لئلا تبقى خالية، ولتعتمد عليه تلك الفروع وتبقى على أوضاعها.

ثم لما كان الدماغ مبدأ الحس والحركة، ولم يكن لسائر الأعضاء حس وحركة بذاتها، وكان اللازم إيصالهما منه إليهما، ولم يكن ذلك ممكناً بدون واسطة في الإيصال، فخلق (الأعصاب) من جوهره، ووصلها منه إلى سائر الأعضاء والعظام وغيرها، ليفيدها الدماغ بتوسطها حساً وحركة، وليشد ويتقوى بها اللحم والبدن، وأيضاً لم يجعلها متصلة بالعظم مفردة، بل بعد اختلاطها باللحم والرباط، لئلا تتأذى من صلابته.

ثم لما كان نزول جميع الأعصاب التي يحتاج إليها من الدماغ موجباً لثقل الرأس وعظمه، خلق الله من جوهر الدماغ أشبه شيء به وهو (النخاع)، وجعل في أسفل القحف ثقباً وأخرجه منها، وخصّه بالعنق والصلب، وأخرج منه كثيراً من الأعصاب المحتاج إليها إلى الأعضاء.

فالدماغ بمنزلة العين والينبوع للحس والحركة، والنخاع بمثابة النهر العظيم الجاري منه، والأعصاب كالجداول، والمنبع ألين من النهر والنهر ألين من الجداول.

ثم أنظر كيف خلق (العين) وفتحها وأحسن شكلها ولونها وهيئتها، ورتّب لها سبع طبقات وثلاث رطوبات كل منها على شكل خاص ولون مخصوص، لو تغير شيء منها عما عليه لاختل أمر الأبصار، وتأمل كيف أظهر في حدقتها التي بمقدار العدسة صورة السماء مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها، وحماها بالأجفان ليسترها ويحفظها ويصقلها، وجعلها وقاية لها يدفع بها الأقذاء عنها، ويمنعها عن وصول الغبار والدخان والشعاع إليها عند انطباقها، وجعل الجفن الأسفل أصغر من الأعلى، لأن الأعلى يستر الحدقة تارة ويكشفها أخرى لتحركه، وأما الأسفل فغير متحرك، فلو زيد على هذا القدر يستر شيئاً من الحدقة دائماً ويجتمع فيه الفضول ولا تسيل.

ثم زيّن الأجفان بـ(الأهداب) ليمنع من الحدقة بعض الأشياء التي لا يمنعها الأجفان مع انفتاح العين ـ كما ترى عند هبوب الرياح التي يأتي بالأقذاء ـ فيفتح العين أدنى فتح، وتتصل الأهداب الفوقانية بالسفلانية فيحصل شبه شباك ينظر من ورائه، فتحصل الرؤية مع دفع القذى.

ثم انظر كيف شق (الأذن) وأودعها ما يحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وجعل ثقبها محاطة بصدفة مرتفعة لئلا تتأذى من البرد والحر وغيرهما مما يؤذي، وليجتمع فيها الهواء المتحرك من الأصوات فينفذ فيها ويحرك الهواء الذي في داخلها ويموجه ـ كما ترى من دوائر الماء إذا وقع فيه شيء ـ حتى يصل إلى العصبة المفروشة على الصماخ التي فيها قوة السمع، فيدرك الصوت.

وجعل في منفذها تجويفات واعوجاجات كثيرة لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقها، فيتنبه صاحبها إذا قصدته دابة مؤذية فيدفع شرها، وخلق فيها جرماً نتناً لتنفر عنه الدواب المؤذية ولا تدخلها.

ثم تأمل كيف زين الوجه بـ(الحاجبين) وحسنهما بدقة الشعر واستقواس الشكل.

وزيّن وجه الرجل بـ(اللحية) ووجه المرأة بعدمها، والمتأمل يعرف أن اللحية زين للرجل وشين للمرأة، وهذا من عجائب الحكمة.

وزين الوجه برفع (الأنف) من وسطه، وحسن شكله وفتح منخريه، وأودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق الهواء الطيب الصافي، ويدفع الهواء الحار الدخاني، ترويحاً لقلبه، وجعل له منخرين لتميل الفضلات النازلة من الدماغ غالباً إلى أحدهما، ويبقى الآخر مفتوحاً، فلا تسد طرق الاستنشاق بأسرها.

ثم انظر إلى (الفم) وعجائبه وإلى اللسان وغرائبه، فإنه سبحانه لعظيم قدرته وحكمته فتح الفم، وأودعه اللسان وجعله ناطقاً معرباً عمّا في القلب ومكّنه من التكلم باللغات المتخالفة وتقطيع الأصوات وإخراج الحروف المتباينة، وجعل له قدرة على الحركة في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها.

وخلق (الفكين) وركب فيهما الأسنان لتكون آلة للطحن والقطع والكسر، فأحكم أصولها، وحسن لونها، ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب، كالدرر المنظومة، مختلفة الأشكال باختلاف الأغراض والمقاصد، متفاوتة الأوضاع بتفاوت الغايات والفوائد ولما كان الطعام يحتاج تارة إلى الكسر وتارة إلى القطع وأخرى إلى الطحن فقسم الأضراس إلى عريضة طواحن كالأضراس، وإلى حادة قواطع كالرباعيات، وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب.

والأضراس التي في الفك الأعلى لما كانت معلّقة جعل أصولها ثلاثة أو أربعة، والتي في الفك الأسفل اكتفى في أصولها باثنين أو ثلاثة لعدم الاحتياج، وجعل لسائر الأسنان أصلاً واحداً لعدم ثقل فيها.

ثم جعل مفصل (الفكين) متخلخلاً بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى، وهو ثابت لا يتحرك، فيتم الطحن بذلك.

فانظر في عجيب صنع الله في هذه الرحى حيث يدور الأسفل منها على الأعلى على خلاف سائر الأرحية، لدوران الأعلى منها على الأسفل.

والحكمة في تحرك الأسفل دون الأعلى: إن الأعلى مجمع الدماغ والحواس، فتحركه كان موجباً لاذيتهما واضطرابهما، وأيضاً هو مفصل الرأس والعنق، فلو تحرك لم يستحكم، مع أن الوثاقة فيه لازمة ثم لما كان مضغ الطعام محتاجاً إلى تحركه فيما تحت الأسنان، فأعطى الله سبحانه قدرة اللسان على أن يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة.

ولما كان الطعام يابساً فلم يمكن ابتلاعه إلا بنوع رطوبة، فخلق تحت اللسان عيناً جارية يفيض منها اللعاب وينصب بقدر الحاجة، حتى يعجن به الطعام ويقدر على ابتلاعه.

ثم تفكر كيف خلق (الحناجر) وهيأها لخروج الأصوات، وجعلها مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملامسة والطول والقصر وصلابة الجوهر ورخاوته، حتى اختلفت بها الأصوات،فلا يتشابه به صوتان، بل يظهر به بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع أصوات آحاد الناس بمجرد سماعها في الظلمة والغيبة.

ثم مدّ (العنق) وجعله مركباً للرأس، وركبه من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات وزيادات ونقصان، لينطبق البعض على البعض، ولما كان أكثر منافعه في الحركة جعل مفاصله سلسلة، ولم يجعل زوائدها المفصلية كبيرة كزوائد فقرات الصلب، لتكون حركاته أسرع، وتدارك تلك السلاسة بأعصاب وعضلات كثيرة محيطة به.[٢]

---

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) جامع السعادات للمحقق النراقي: ج١، ص١٢٧ ـ ١٣١.

الإمامة في السنة
الحلقة الثانية

يورد كثير من كبار مفسري أهل السنة والشيعة حديث (المنزلة) عند تفسير الآية ١٤٢ من سورة الأعراف، والتي تتعلق بذهاب موسى عليه السلام أربعين ليلة إلى ميعاد الله وخلافة هارون له.

مضمون الحديث كما يلي:

تحرّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو تبوك (وهي تقع في شمال جزيرة العرب وتحادد امبراطورية الروم)، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر بأن امبراطور الروم قد جاء بجيش عظيم يريد به أن يهاجم الحجاز ومكة والمدينة، لكي يخنق الثورة الإسلامية في مهدها قبل أن يصل برنامجها الإنساني والتحرري إلى تلك المنطقة، فتحرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تاركاً علياً بمكانه فقال علي:

«أتتركني بين النساء والأطفال، ولا تسمح لي بالاشتراك في الجهاد معك؟».

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألا ترى أن تكون بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنه لا نبي بعدي».

هذه العبارة مذكورة في أشهر كتب الحديث عند أهل السنة، مثل الصحيح البخاري وصحيح مسلم، إنما الاختلاف بينهما هو أن صحيح البخاري يورد الحديث كله، بينما صحيح مسلم يورد الحديث كله مرة، ويورد عبارة (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي) مرة أخرى، كتعبير عام وكلّي.

كما جاء هذا الحديث في عدد كبير من كتب أهل السنة منها (سنن ابن ماجة)، و(سنن الترمذي)، و(مسند أحمد)، وغيرها.

والذين يروون الحديث عن الصحابة يزيد عددهم على العشرين، منهم (جابر بن عبد الله الأنصاري) و(أبو سعيد الخدري)، و(عبد الله بن مسعود)، و(معاوية).

ينقل (أبو بكر البغدادي) صاحب (تاريخ بغداد) عن (عمر بن الخطاب): أنه رأى رجلاً يشتم علياً عليه السلام، فقال له عمر: لا أراك إلاّ من المنافقين، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«إنّما علي مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي».

ومما يستلفت النظر في أشهر كتب الحديث المعتبرة أن هذا الكلام لم يقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمناسبة غزوة (تبوك) فقط، بل إنه كرره سبع مرات في سبع مناسبات مختلفة، مما يدل على مفهومه العام، ومن تلك المناسبات:

١ ـ (يوم المؤاخاة) الأولى في مكة، أي في اليوم الذي عقد فيه عهد الأخوة بين أصحابه، واختار علياً عليه السلام لأخوّته، وذكر هذه العبارة نفسها.

٢ ـ (يوم المؤاخاة) الثانية بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، إذ تكررت الحالة وكرر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك العبارة.

٣ ـ في اليوم الذي أمر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغلق أبواب البيوت التي كانت تفتح على مسجد الرسول، واستثنى باب بيت علي عليه السلام، مكرراً هذه العبارة نفسها.

٤ ـ في غزة تبوك، كما سبق.

وفي ثلاث مناسبات أخرى تذكرها كتب أهل السنّة أيضاً، وبناءً على ذلك، لا يبقى مجال للشك في صحة ورود حديث المنزلة لا في أسانيده، ولا في مفهومه العام.

محتوى حديث المنزلة

إذا نظرنا إلى الحديث المذكور نظرة عابرة، وأغفلنا أحكامنا السابقة، أمكننا أن نستنتج أن جميع المناصب التي كانت لهارون في بني إسرائيل من جانب موسى، باستثناء النبوة، كان لعلي عليه السلام مثلها، وذلك لأنه ليس في الحديث أي قيد ولا أي شرط.

وعليه يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

١ ـ كان علي عليه السلام الأفضل في الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بمثلما كان هارون في بني إسرائيل.

٢ ـ كان علي عليه السلام وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعاونه الخاص، وشريكه في قيادته الأمة، إذ إن القرآن أثبت هذه المناصب لهارون (سورة طه، الآيات ٢٩ ـ ٣٢).

٣ ـ كان علي عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى في حياته، ولم يكن أي شخص آخر قادراً على الاضطلاع بتلك المهمة، وهكذا كان مقام هارون بالنسبة لموسى.

حديث يوم الدار

جاء في كتب التأريخ الإسلامي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر بإعلان دعوته السرية في السنة الثالثة من البعثة، كما جاء في الآية ٢١٤ من سورة الشعراء:

((وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ...)).(1)

فدعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أقرباءه إلى بيت عمّه أبي طالب وبعد تناول الطعام، قال:

«يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا».

ثم قال: «من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟».

فسكت القوم، فأعادها ثلاثا، كل ذلك يسكت القوم، ويقول عليّ: أنا، فقال في المرة الثالثة: «أنت».

فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمّر عليك.

وروي عن أبي رافع: أنه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضلعوا (أي شبعوا) وسقاهم عسلا فشربوا كلهم حتى رووا، ثم قال:

«إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين وأنتم عشيرتي ورهطي وأن الله لم يبعث نبياً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً وخليفة في أهله، فأيّكم يقوم فيبايعني على أنه أخي ووارثي ووزيري ووصيي ويكون منّي بمنزلة هارون

من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي؟».
فسكت القوم، فقال: ليقومن قائمكم أو ليكونن من غيركم ثم لتندمن، ثم أعاد الكلام ثلاث مرات، فقام علي عليه السلام فبايعه فأجابه ثم قال: «أدن منّي».
فدنا منه ففتح فاه ومجّ في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه، فقال أبو لهب: بئس ما حبوت به ابن عمّك إن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
«ملأته حكماً وعلماً».
هذا الحديث يعرف باسم (حديث الدار) وهو الواضح في دلالته بما يكفي، أما من حيث أسانيد الحديث، فقد ذكره كثيرون من علماء أهل السنة، مثل (ابن أبي جرير) و(ابن أبي حاتم) و(ابن مردويه) (وأبي نعيم)، و(البيهقي)، و(الثعلبي)، و(الطبري)، و(ابن الأثير)، و(أبي الفداء)، وغيرهم.
ولو أننا نظرنا إلى هذا الحديث نظرة عابرة أيضا لتبينت لنا حقائق ولاية علي عليه السلام وخلافته، لأنه صريح في هذا الموضوع.

حديث الثقلين وسفينة نوح

من الأحاديث المشهورة والمعروفة بين علماء السنّة والشيعة هو (حديث الثقلين).
هذا الحديث ينقله عدد كبير من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، ويقول بعض كبار العلماء أن رواة هذا الحديث لا يقلّون عن ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
كما أورده عدد كبير من المفسرين والمحدثين في كتبهم، بحيث لا يمكن الشك في كونه من الأحاديث المتواترة.
يشير العالم الكبير السيد هاشم البحراني في كتابه (غاية المرام) إلى هذا الحديث وبسنده إلى ٣٩ سنداً من علماء أهل السنّة، و٨٠ سنداً من علماء الشيعة.
أما (مير حامد حسين) العالم الهندي الكبير، فقد تعمق في تتبع هذا الحديث، فوجده مذكوراً عند مائتي عالم من علماء أهل السنّة، وقد جمع بحوثه حول هذا الحديث في ستة مجلدات ضخام!، ومن بين الصحابة المشهورين الذين ذكروا هذا الحديث: (أبو سعيد الخدري)، و(أبو ذر الغفاري)، و(زيد بن أرقم)، و(زيد بن ثابت)، و(أبو رافع)، و(جبير بن مطعم)، و(حذيفة)، و(ضمرة الأسلمي)، و(جابر بن عبد الله الأنصاري)، و(أم سلمة)، وغيرهم.
أصل الحديث، كما يرويه أبو ذر الغفاري، كما يلي:
(لما صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع قال على المنبر: يا أيها الناس إني مسؤول وإنكم مسؤولون، إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).
هذا الحديث روته مصادر أهل السنّة المعتبرة، مثل (صحيح الترمذي) و(النسائي) و(مسند أحمد) و(كنز العمال) و(مستدرك الحاكم)، وغيرهم.
جاء في بعض الروايات تعبير (الثقلين) وجاء في روايات أخرى تعبير (الخليفتين)، وليس بين هذين من حيث المفهوم فرق كبير.
واللافت للنظر في هذا أن الكثير من الأحاديث الإسلامية المختلفة تقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كرر هذا الكلام على الناس مرات عديدة:
ففي رواية (جابر بن عبد الله الأنصاري) تقرأ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله في يوم عرفة من أيام الحج.
والراوي (عبد الله بن حنطب) يقول أنه قاله في (الجحفة) وهو مكان بين مكة والمدينة حيث يروح الحجاج منه، وتقول (أم سلمة) إنه قاله في غدير خم، وجاء في روايات أخرى أنه قاله في أواخر أيامه المباركة وهو على فراش المرض.
وفي رواية أخرى أنه قاله من على المنبر في المدينة، ونقرأ في (الصواعق المحرقة) للعالم السني الكبير (ابن حجر): أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد علي ورفعها وقال: (علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).
وهكذا تبيّن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أكد هذا المفهوم مرات عديدة بوصفه مبدأ أساساً، إذ كان ينتهز كل فرصة مواتية لبيان هذه الحقيقة المصيرية البنّاءة لكي لا يطويها النسيان.

محتوى حديث الثقلين

هنا لابد من ملاحظة عدة نقاط:
١ ـ الإشارة إلى القرآن والعترة كثقلين أو كخليفتين، تدل على أن على المسلمين أن يظلوا متمسكين بهما دائماً، وخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما جاء في الحديث الشريف: نص الحديث: (ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً)، فإن الأمر يزداد تأكداً وثبوتا.
٢ ـ قرن (القرآن) بـ(العترة) متجاورين دليل على أنه مثلما أن القرآن لن تناله يد التحريف أبداً ويبقى مصونا من كل تحريف، كذلك تكون عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مقام العصمة.
٣ ـ جاء في بعض الروايات إن الله يوم القيامة يحاسب الناس على كيفية ارتباطهم بهذين التذكارين العظيمين.
٤ ـ لا شك إننا مهما يكن تفسيرنا للعترة وأهل البيت، فإن علياً عليه السلام يكون من أبرز مصاديقها، إذ أن كثيراً من الروايات تقول إنه لم يفترق عن القرآن، ولا القرآن افترق عنه.
وهنالك روايات أخرى تقول إنه عند نزول آية المباهلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، قائلاً: هؤلاء أهل بيتي.
٥ ـ على الرغم من أن المسائل الخاصة بيوم القيامة ليست واضحة لنا نحن الذين نعيش محصورين بين جدران هذا العالم، إلا أن ما يستفاد من الروايات ينبئ بأن (حوض الكوثر) نهر خاص في الجنة ذو مميزات كثيرة ويختص بالمؤمنين الصادقين وبالرسول الكريم وأئمة أهل البيت وأتباعهم.

حديث سفينة نوح

من التعبيرات اللافتة للانتباه والواردة في كتب أهل السنّة والشيعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو حديث (سفينة نوح) المعروف.
في هذا الحديث يقول أبو ذر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مَثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).
هذا الحديث من الأحاديث المشهورة التي توجب على الناس إتباع علي عليه السلام وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده.
فإذا عرفنا أن سفينة نوح كانت ملجأ ووسيلة النجاة من ذلك الطوفان العظيم الذي شمل العالم، اتضحت لنا هذه الحقيقة، وهي أنه إذا هبّت الأعاصير والطوفانات بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما على الأمة إلاّ أن تتمسّك بأذيال الولاء لأهل البيت، إذ لا سبيل لها إلى النجاة بغيرهم.[٢]

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(٢) سلسلة أصول الدين للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ص٦٥ ـ ٧٨.

السيد أبو الحسن الاصفهاني



علم الأعلام والعلاّمة الإمام غرّ الشيعة في عصره ومقتداها الأستاذ أبو الحسن السيّد أبو الحسن العلويّ الفاطميّ الموسويّ الإصفهانيّ النجفيّ، المعاصر الشريف.

هو أبو الحسن، السيد أبوالحسن بن محمد بن عبد الحميد العلويّ الموسوي الاصفهاني أصلا وانتسابا ثم النجفيّ هجرة وموطناً، وهو أشهر فقهاء الإمامية اليوم وأجلّهم شأناً، وأرفعهم مقاماً، ومرجع الشيعة في الفتوى والدّين، ومقتداهم في العلم والعمل وأشخصهم في العصر والحاضر، وقد طابقت كنيته إسمه.

لم نقف ولا يقف في القرون الأخيرة على من يعادل هذا الرجل الجليل ــ رجل العلم والعمل والفضل والعرفان، وهيكل القدس والتقى، ومظهر العدل والورع ــ في كرامة الشيمة وحصافة العقل وسداد الرأي، وسعة النظر، وعلوّ الهمّة، والانحصار في المرجعيّة والرياسة الروحانية في الأقطار المختلفة من الشرق والغرب والعرب والعجم زاده الله ورعاً وعلماً وعزّاً وكرامة.

ولد المترجم في بعض قرى إصفهان وبعد مبلغ الرشد فيها قرأ مبادئ أمره ومعظم المتون في دار العلم في إصفهان على أساتذة عهده، حتّى هاجر منها في حدود سنة ١٣١٨ ـ على ما ذكره هو بنفسه ـ إلى العاصمة العلويّة ومركز الفقاهة الإمامية النجف الأقدس، حضر فيها على أئمّة عهده وصناديد وقته، ومنهم العلمين الإمامين الآيتين الكاظمين، المولى محمّد كاظم الخراسانيّ، والسيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، ثمّ اختص بالأوّل منهما ولازم مجلسه المتبركة سنين متمادية وأعواماً متكاثرة، حتّى صار من أعلام حوزته وأخصّ تلامذته وألصق أصحابه، وكان عليه استناده وركونه في المباني والسلوك، واجتمعتُ مع المترجم في بحث حضرة الأستاذ العلاّمة شيخنا الخراسانيّ ــ قدّس سرّه ـ سنين متمادية.

وكان للمترجم مجلس التدريس في حياة أستاذه المعظّم، وكان أستاذه العلاّمة ينظر إليه بنظر التكريم والتبجيل، وكان العلاّمة الميرزا محمّد تقي الشيرازيّ العسكريّ يأمر بالرجوع إلى جماعة من الطبقة الثانية في احتياطاته الفتوائية، وكان منهم المترجم حتّى مضى العلاّمة الشيرازي إلى سبيله، ثمّ تبعه العلاّمة شيخ الشريعة الإصفهاني بفاصلة يسيرة سنة ١٣٣٨ ـ ١٣٣٩ فانتهت النوبة إلى المترجم بعدهما، فاستقلّ بالمرجعيّة العامّة وقتئذٍ، وتقمصّ بأعباء الزعامة الكبرى، وهو اليوم من أعظم فقهاء الشيعة مقاماً، وأجلّهم شأناً، وأبسطهم يداً، وأقومهم رياسةً ونفاذاً، وأحسنهم سيرةً، وهو اليوم لعلّه في العشر الثامن من أعشار مراحل عمره متّع الله المسلمين بطول بقائه، ودوام عزّه وغرّه.

ولـمّا مضى العلاّمة ميرزا محمّد تقي الشيرازي إلى سبيله ثمّ العلامة شيخ الشريعة الإصفهانيّ بعده قدس الله سرّهما في حدود سنة ١٣٣٨ ــ ١٣٣٩ كما سمعتَ آنفاً، رجع الأمر إلى المترجم والعلامة آية الله النائيني ـ ميرزا محمد حسين النائيني النجفي ـ معاً، بل كان العلامة النائيني لعله هو أشهر ـ ومجلس درسه هو أكثر زحاماً من المترجم ـ حتّى توفي رَحِمَه الله في سنة ١٣٥٥ ولمّا مضى العلامة النائيني إلى سبيله انحصر المترجم في الرياسة والمرجعية، ولعلّه لم يتّفق للنجف في طيّ القرون الأخيرة من دون اشتراك الغير فيها، ولعلّ ذلك من خصائص المترجم المعظم الذي اختص به في عهده، ولم يشاركه فيه غيره من الرؤساء في القرون الأخيرة، كما أنّه كان قليل النظير في علوّ الهمّة وسعة الصدر ورفعة النظر والبذل والسخاء وبسط اليد وحصافة الرأي والمتانة والوزانة أيضاً.

فقيه، أصوليّ، محدّث بليغ التتبّع والاحاطة في الفقه، مستقيم الذهن، حسن السليقة، وسيع الفكر، وكان جيّد البيان، جميل المعاشرة، ممدوح السيرة، وكان يُجبى إليه مال خطير من الشيعة من أقطار مختلفة، وجلّ المشتغلين وطلبة العلوم والعلماء والمجتهدين والمدرّسين اليوم في النجف وكربلاء ومشهد الكاظمين وسامراء والعلوّيات والمستحقين فيها وفي غيرها، والمستحقين من سدنة المشاهد المقدّسة والفقراء من الزوّار من العرب والعجم والهند والبربر وغيرهم، كلّهم في عيولة المترجم وكفالته.

ولم يتّخذ المترجم ـ حتّى اليوم ـ لنفسه ولم يدخّر لها شبراً من التراب، ولا حبة من الحطام إلاّ داراً صغيرة كان يسكنها، وقسماً من الكتب والأسفار التي كان يحتاج إليها في أمرها مع ما كان يُجبى إليه من الأموال من النقود وغيرها من الأقطار المختلفة.

والعلاّمة المترجم مع ما هو عليه من سعة الفضل لم يبرز منه حتّى اليوم أثر علميّ وتصنيف يليق لمثله ومقامه، وذلك لعلّه لاستغراق أوقاته بالمراجعات العامة وإصلاح أمورهم وإنجاح مسؤولهم، والتدريس والفتوى والقيام بأعماله الخاصّة من العباديات والمطالعة والتحريرات ونحوها والذي بلغنا من مؤلفاته.

وقد ابتلاه الله عزّ وجلّ ببليّة عظيمة وفاجعة مدهشة تتزعزع منها القلوب القاسية، امتحاناً لعظيم مقامه؛ لتكون عبرة للناظرين

في الصبر على الشدائد والمحن والشكر على البلاء والفتن، وهي أنّ ابنه الأرشد السيّد محمّد حسن ـ وهو رجل ابن ثلاثين سنة تقريباً حصيف العقل، سديد الرأي، جميل السيرة، صاحب الفضيلة والسماحة، كريم الشيمة، محمود المعاشرة ـ قد ذُبح في الصحن الشريف العلويّ في صفوف جماعة والده المعظّم بين صلاتي المغرب والعشاء بيد رجل قريب السن معه من أهل قم قاطن النجف يسمّى علياً، على ملأ من الجماعة ومرأى منهم ومسمع، وعلى منظر والده وهو يرى أنّه يتغلّل في دمه وينقبض يميناً وشمالاً.

وذلك أنّ الرجل لاقاه في جماعة والده وهو مشتغل بتعقيب صلاة المغرب، فجرى بينهما مفاوضات خفيفة بسهولةٍ ولينةٍ، فإذا قد أخذه الرجل وبيده سكّين شاهره، فذبحه من حلقومه وخرّ المذبوح صريعاً على الأرض صعقاً من حينه، وقبض على القاتل من ساعته، وحمل المذبوح إلى دار المرضى، ولكن لم يفد له شيء ومات فيها بفاصلة يسيرة.

وقد ظهر من المترجم المصاب ـ أحسن الله أجره وأعظم مثابه ـ في تلك الفادحة المزعجة والفاجعة العظمى بروحه القويّ الإلهيّ ونفسه الملكوتيّ ما فيه عبرة وحيرة لا للحاضرين من الناس فقط بل لتاريخ البشر، كذلك ظهر من المترجم فيها من الصبر والشكر والطمأنينة والسكينة ما لا تتمكّن منها النفوس العاديّة وما هي إلاّ أثر قوّة الإيمان وقوّة اليقين والاعتقاد والاعتماد.

فإنّه ـ دام عزّه ونصره ـ لم يتغيّر ما كان عليه من العادات والرسوم والأحوال بعد تلك النازلة الكبرى أدنى تغيير، وقد تغير لغيره كثيراً ما.

فيا للعجب ثمّ العجب إنّه لمّا حمل المذبوح من مصرعه ـ بين ازدحام عامّ من الناس قليل النظير تحفّهم الضجّة والأنين واللطم والبكا ـ لم يتحرّك المترجم من مكانه، بل تهيّأ حينئذٍ لإتيان فريضة العشاء، بعده، حتّى انعقت الصوف مرّةً أخرى وصلّى المترجم صلاة العشاء بالجماعة أيضاً كغيره من الأيام، وحضر المترجم بالحضرة المقدّسة آخر تلك الليلة قبل الفجر على ديدنه المستمرّة، واستمرّ على إقامة مجلس درسه والقعود في بيته للافتاء وزيارة الواردين والجواب عن أسئلتهم ومكاتباتهم والنظر في مراجعاتهم كما كان عليه قبل ذلك.

وأمّا القاتل فسيق به إلى بغداد وحكمت عليه المحكمة الجنائيّة الدستورية فيها بالحبس سبع عشرة سنة، ولم يتعرّض المترجم له بوجه أبداً، بل كان لمّا طولب المترجم باعزام وكيله إليها بمطالبة دم المقتول أعلن إليها المترجم عفوه عنه عوضاً عن اعزام الوكيل إليها ،وإنّما حكمت عليه المحكمة بالحبس؛ نظراً للجزاء العمومي للواقعة، وحفظاً للنظام العامّ، وقد بلغنا بعد ذلك من جماعة ممّن أدرك القاتل وعرفوه قبل ذلك في قم والنجف أنّه كان عليه نحو جنون واختلال المشاعر، المظنون أنّ ذلك هو الذي حمله على ارتكاب هذا العمل الفظيع وكان وقوع تلك الحادثة في النجف الأقدس في سنة ١٣٤٢ بعد مراجعة العلاّمة المترجم من مدينة قم سنة ١٣٤١.

وقد بلغنا خبر وفاته المدهش ـ قدّس الله سرّه ـ مستصحباً لقطائع من الحزن والأسف، توفّي المترجم ـ نوّر الله مضجعه ـ عن سنّ خمس أو ستّ وثمانين تقريباً بعد ما مضى عليه عامان مشؤومان ملازماً لوسادة المرض والتعب والعلّة والنصب في جوار جدّه الإمام موسى بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد ـ سلام الله عليهما ـ بعد مراجعته من بعلبك عازماً لزيارة دار الغيبة سامرّاء في يوم الاثنين تاسع شهر ذي الحجة الحرام مختتم سنة ١٣٦٥ الهجريّ الهلاليّ أوّل الغروب، وحمل نعشه صباح يوم الثلاثاء ــ وهو يوم الأضحى ـ من الكاظمية إلى بغداد، ومنها إلى الحائر الشريف، ومنها إلى الغريّ، وشيّع نعشه الشريف تشييعاً عظيماً لم ير بمثله، ولم يكن له نظير قبله قطّ، سوى تشييع جنازة سيّدنا العلاّمة آية الله العسكريّ الشيرازيّ في سنة ١٣١٢ من بلدة سامرّا إلى الغريّ.

وحمل جثمانه على الأنامل لا على الأكتاف أو الأيادي والرؤوس لكثرة ازدحام الناس فيه، وحضر جنازته كفيل مقام السلطنة حضرة عبد الله نائب السلطنة وجميع وزرائه ورجال ملكه وأركان دولته والأمراء غيرهم وجماعة اليهود والنصارى أيضاً فضلاً عن أخواننا المسلمين من أهل السنّة والجماعة من بغداد، وأقيم له مجالس التأبين، في جميع بلاد الشيعة قاطبة بلاد إيران والشامات وسورية والهند وغيرها.

وجرى التعطيل العامّ المطبق في طهران ثلاثة أيام متوالية من الدولة والرعية جميعاً كتعطيل يوم العاشور تحقيقاً لم يعهد مثله قبل ذلك.

ويوم الخميس ثالث يوم وفاته حضر جلالة الملك الأعظم السلطان، لختام مجلس العزاء السلطانيّ في الجامع السلطانيّ، وحوله وزراء الدولة العليّة وأمراء العسكرية ورجال بلاطه حتّى قام أمام المنبر مواجهاً لجماعة الأعلام وعزّاهم بالفاجعة النازلة بعد إظهار غاية التأسّف والتلهّف لها، ثمّ أمر بختام الاحتفال، واستقبله الأعلام بالشكر والامتنان لمزيد عناياته الجليلة وألطافه الثمينة السلطانيّة، حتّى رجع من طريقه الذي جاء به أوّلاً، واختتم المجلس بأمره الأعلى.

وممّا اختصّ به الفقيد المعظم والعلاّمة المترجم ــ قدّس الله تربته ــ ولم يسبقه غيره بذلك إلى حين اعزام (وَفْد) جليل من العاصمة السياسية طهران إلى العاصمة الدينية الروحانية النجف الأقدس في أسبوع وفاته، من طرف جلالة الملك الأعظم والدولة العلية والهيئة العلمية والجامعة الروحانية لزيارة تربته وتعزية أخلافه وتعظيم مقامه في العالم الإسلامي، ولاسيما عند ا لدول الأجنبية، وكان الوفد مندوباً من طرف جلالة السلطان ومندوباً من طرف (رئيس الوزراء) ومندوباً من طرف جماعة الأعلام، ومندوباً من طرف طبقات المسلمين.

وكان أديب السلطنة السميعي مندوب جلالة الملك، تبعه قرآن مخطوط مذهب ثمين أهداه إلى تربة حضرة المترجم من جانب جلالة السلطان، وكان سفرهم من طهران يوم السبت ١ ذي الحجة وورودهم إلى الغريّ يوم الأحد سابع وفاة المترجم قدّس سرّه، وكان لهذا العمل تأثير سياسي عظيم للشيعة في العالم.(١)

---

(١) مرآة الشرق للشيخ محمد أمين الإمامي الخوئي: ج١، ص١٨٣ ـ ١٨٩.





إسلام اليهودي ببركة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

روي عن الإمام الصادق عليه السلام وأم سلمة، وزيد بن أرقم: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بظبية مربوطة بطنب خيمة يهودي.

فقالت: يا رسول الله إني أم خشفين عطشانين، وهذا ضرعي قد امتلأ لبنا، فخلني حتى أرضعهما ثم أعود فتربطني.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أخاف ألا تعودي».

قالت: جعل الله عليّ عذاب العشارين إن لم أعد.

فخلى صلى الله عليه وآله وسلم سبيلها.

فخرجت وحكت لخشفيها ما جرى، فقالا لا نشرب اللبن وضامنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أذى منك.

فخرجت مع خشفيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأثنت عليه، وجعلا يمسحان رؤوسهما برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فبكى اليهودي وأسلم وقال: قد أطلقتها، واتخذ هناك مسجداً، فخنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أعناقها بسلسلة وقال:

«حرمت لحومكم على الصيادين»، (الخبر).

وفي رواية زيد (ابن أرقم) فأنا والله رأيت الظبية تسبّح في البرية وهي تقول: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

وروي أن الرجل (أي اليهودي) اسمه أهيب بن سماع.[1]

علمه صلى الله عليه وآله وسلم بظهر الغيب

قال الكلبي في قوله عزّ وجل:

((...فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ...)).[2]

نزلت في العباس لما أسر في يوم بدر.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أفد نفسك وابني أخيك ـ يعني عقيلا ونوفلا ـ وحليفك ـ يعني عتبة بن أبي جحدر ـ فإنك ذو مال».

فقال: إن القوم استكرهوني، ولا مال عندي.

قال:

«فأين المال الذي وضعته بمكة عند أم الفضل حين خرجت، ولم يكن معكما أحد، وقلت: إن أصبت في سفري فللفضل كذا وكذا، ولعبد الله كذا، ولقثم كذا؟؟؟؟».

قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم بهذا أحد غيرها، وإني لأعلم أنك لرسول الله.

ففدى نفسه بمائة أوقية، وكل واحد بمائة أوقية.

فنزل:

((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)).[3]

فكان العباس يقول: صدق الله وصدق رسوله فإنه كان معي عشرون أوقية فأخذت، فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً كل منهم يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم.

أقول: وفي رواية أخرى عن جعفر بن محمد عليه الصلاة والسلام قال، قال أبي: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ من العباس دنانير كانت معه.

فقال: يا رسول الله! ما عندي غيرها.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«فأين الذي استخبيته عند أم الفضل؟

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ما كان معها أحد حين استخبيتها.[4]

---

(١) الفضائل والمعاجز للسيد محمد جعفر المروج: ص١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) سورة محمد، الآية: ٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٤) الفضائل والمعاجز: ص١٢٥ ـ ١٢٦.



الحلقة الثالثة عشرة

على مائدة الصحيفة السجّادية

الدعاء الأول

(... قَبَضَهُ إلى مَا نَدَبَ إلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوابِهِ أو مَحْذُورِ عَقابِهِ، لِيَجْزِيَ الّذِينَ أساؤوا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الّذِينَ أحْسَنُوا بِالحُسْنَى،.....).

قبضه الله: توفاه.

وندبه إلى الأمر ندباً: أي دعاه إليه.

والموفور: الكامل التام.

والثواب: الجزاء.

والمحذور: المخوف حيث ينقل الله العبد بعد موته إلى دار حساب خالية من العمل، وهناك الجزاء حيث الأجر العظيم والفوز للصالحين والمتقين، والعذاب الأليم الذي أنذر الله لأهل المعصية وأصحاب الذنوب.[1]

قال تعالى:

((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ...)).[2]

وقيل (إلى ما ندبه إليه) هو: إلى نتيجة ما كلفه به من القيام بالواجبات وترك المحرمات.

وقيل أنه: لا مفر من الموت، وأيضا لا مفر من البعث بعد الموت لا لمجرد البعث، بل للحساب، والمعاملة بالمثل.[3]

وقيل (قبضه): أي أخذه الله سبحانه بالإماتة، (إلى ما ندب إليه) أي كلفه به، فإنه سبحانه كلف الإنسان بالواجبات وبترك المحرمات، والمراد بما ندب: نتيجة ما ندب، ونتيجة ما عمل.

(من موفور ثوابه) أي ثوابه الوافر الكثير لمن أطاع (أو محذور عقابه) أي عقابه الذي يحذر منه ويخاف لمن عصى، (ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا) من الكفر والمعاصي (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) أي بالصفة الحسنى، مؤنث أحسن، والمراد بالحسنى: الجنة والثواب، وإنما يجازي سبحانه بما عمل الإنسان.[4]

وقيل: (موفور ثوابه) من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وكذا ما بعده، وموفور إما بمعنى وافر، كمدفوق بمعنى دافق، عبّر به للمشاكلة، أو الذي وفر على طريقة المجهول، (بما عملوا) الباء للسببية أو للصلة، (بالحسنى) أي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، أو بأحسن من أعمالهم، أو بسبب الأعمال الحسنى.[5]

وقيل: العبارة صفة لمحذوف، تقديره: يجزي جزاءاً عدلاً، أي: كلتا الحكمتين - وهما جزاء المحسنين بالإحسان ومكافأة المسيئين بالعذاب - عدل من الله تعالى.[6]

قيل: (قبضه) الله من باب ضرب أماته، وعبر عن الإماتة بالقبض الذي هو في الأصل بمعنى جمع المنبسط وطيه - لما في ضدها - وهو الإحياء، و(الموفور): المتمم المكمل من وفر الشيء وفرا من باب وعد: تم وكمل، و(الثواب) الجزاء، و(المحذور) الخوف، و(العقاب): العقوبة مأخوذ من العقب، لأن المعاقب يتبع عقبا لخصم طالبا حقه، يقال: عاقبه إذا جاء بعقبه، والدعاء إلى العقاب مجاز لأنه عاقبة الأعمال القبيحة وثمرتها، وإنما وصف الثواب التمامية دون العقاب تنبيها على أنه سبحانه يوفّر في الثواب حتى ينميه أضعافا مضاعفة – ولا أقلّ لعشرة الأمثال - وأما في العقاب فلا يوفّره، بل يتجاوز عنه حتى يفنيه - رزقنا الله العفو والتجاوز بفضله وكرمه -.

وقيل في (ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى): تكرير الفعل لإظهار كمال الاعتناء بالجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين، وإنما لم يقل: ليجزي الذين أساؤوا بالسيئة، لأن جزاء السيئة حسنة: ولم يقل أساؤوا بالحسنى، لئلا يتوهم أنه يجزي بالإساءة الاحسان، إنما يجزي كذلك عدلا منه.

قال: الاقتباس تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه، بأن يقال: (قال الله تعالى)، ونحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا وقد وقع في خطب أمير المؤمنين عليه السلام ودعاء أهل البيت عليهم السلام كثيرا، وهو ما يدل على جوازه في مقام المواعظ والدعاء والثناء على الله تعالى.

وهذا كما ترى لا طائل تحته! فلعله عليه السلام في وقت التكلّم بهذا الكلام حصل له الاتصال التام إلى مبدئه بحيث وصل إلى محبوبه، فسمع هذا الكلام من قائله؛ كما روي أن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام كان يصلي في بعض الأيام، فخرّ مغشياً عليه في أثناء الصلاة فسئل بعدها عن سبب غشيه؟ فقال عليه السلام: «ما زلت أردّد هذه الآية (إني أنا الله)، حتى سمعتها عن قائلها».[7]

فقد عرّف المعتزلة الثواب: بأنه النفع المستحقّ المقارن للتعظيم، والعقاب: بأنه الضرر المستحق المقارن للإهانة وقالوا بوجوبهما عقلاً.

أما الأول: فلأنّ الطاعة مشقّة ألزمها الله المكلفين، وهي من غير عوض ظلم لا يصدر عن الحكيم العدل فلابدّ من العوض، ولا يكون إلاّ نفعاً، ولو أمكن الابتداء به كان التكليف قبيحاً.

وأما الثاني: فلاشتماله على اللطف، فإنّ علم المكلف باستحقاق العقاب على المعصية يبعّده من فعلها ويقرّبه من فعل ضدّها، واللطف واجب على الله تعالى، وهذا الدليل يجري في الأول أيضاً.[8]

وقال الشاعر في تفسير حديث الإمام سلام الله عليه:

قبض الله ذلك الرُّوح ندباً
للّذي قد دعاه خيرَ دعاء
من عظيم العقاب دون تواني
وكريم الثواب وقتَ الجزاء
ليجازَى المطيع في خير حُسنىً
ويُجازى العاصي بشرِّ بلاء[9]

---

(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٣) في ظلال الصحيفة السجادية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٥٣

(٤) شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الشيرازي: ص١٧ - ١٨.

(٥) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٣٣.

(٦) رياض العارفين لابن محمد دارابي: ص٢٦.

(٧) لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد باقر الموسوي الشيرازي: ج١، ص٣٧٩ - ٣٨٢.

(٨) رياض السالكين للسيد علي خان المدني الشيرازي: ج١، ص٢٩٣ - ٢٩٤.

(٩) الصحيفة السجادية بنظم الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي: ص٢١.



كيف ننشئ أطفالاً يحبّون التعلم؟

منذ اللحظة الأولى التي يولد فيه الطفل يبدأ بتعلم الأشياء عن هذا العالم ومنذ تلك اللحظة يبدأ دور الأم كمعلمة. والأطفال يريدون التعلم، والواقع لا يمكن إيقاف عملية تعلمهم، ولكن ما هي أفضل الطرائق التي يستطيع الآباء اتباعها لتشجيع الحب الطبيعي للتعلم؟ وهذا ما يجعلنا نتذكر أن كل طفل يتطور بسرعة خاصة ولا يمكن تسريع عمل الطبيعة. وإذا أدركنا أن الطفولة هي مرحلة حياة خاصة وليست مجرد تحضير للعالم الحقيقي للكبار. فإن هذا يساعد على حماية الآباء والأبناء من ضغوط التعجيل خلال زمن الطفولة الخاص.

دور الآباء في تشجيع الطفل على التعلم

إن التعلم عملية إيجابية تبدأ باللعب والبحث والاستطلاع الفضولي عند الطفل ويتمثل دور الآباء في تأمين الأدوات الخاصة باللعب والتشجيع على الاكتشاف والتجريب، أي إفساح المجال للطفل ليلعب ويكتشف. والطفل يلعب لعباً تلقائياً فيه الكثير من المصادفة العشوائية، وبذلك يتعلم الطفل من المبادرة الذاتية ودون تدخل الآباء، وأحياناً يؤثر تدخلهم في عملية التعلم فيوقفها، ولكن اللعب مع الطفل يعزز عملية اللعب والتجريب. وبمعنى آخر على الآباء إظهار الحماسة للعب دون تولي القيادة في عملية اللعب لإيصال الرسالة التي تقول (إن عملية اللعب هامة وإن ما يقوم به الطفل هو نشاط إيجابي، فاللعب بالطفولة المبكرة هام جداً من أجل تنمية حب التعلم لدى الطفل. لذلك على الآباء تأمين أدوات اللعب للأطفال، تلك الأدوات التي تتناسب مع أعمارهم، ولا تسبب لهم أي أذى وتوفر لهم المتعة وتوسع خيالهم.. إن تأمين أدوات غير مشكلة أمر هام جداً من مثل (معجون ـ رمل ـ ماء) ليستخدموها بالتجريب، وكذلك تأمين مواد مشكلة مثل قطع خشبية ـ صور مفككة ...إلخ.

لابد من تأمين ألعاب تعزز الخيال (مثل الملابس للدمى والأثاث الصغير) مع ضرورة تأمين أماكن مناسبة للعب، وأوقات للعب داخل وخارج المنزل مع رفاق اللعب لتوسيع مجال لعب الأطفال وتنمية علاقاتهم الاجتماعية.

ومن الجدير بالذكر أن الأطفال يتعلمون بالقدرة الحسنة من الآباء قبل كل شيء. وإن المديح يوجه الأطفال ويشجعهم، وهو أكثر فاعلية من العقاب لأنه يزود الطفل بالشعور بالفخر والإنجاز. والطفل يحب التعلم إذا شعر بأن تعلمه مفيد له بشكل ما. ويستمتع بالتعلم إذا وجد معنى لما يتعلمه. لذلك على المربين (آباء ـ معلمات) إثارة فضول للتعلم وتوضيح سبب تعليمه شيئاً ما.

علينا معرفة إمكانات أطفالنا قبل أن نبدأ بعملية تعليمهم شيئاً ما، لأن هذه المعرفة تجعلنا نقدم لهم أشياء يمكنون من إنجازها، وبذلك تحميهم من الفشل والإحباط، وتؤدي شخصية الطفل دوراً هاماً وطبيعياً في عملية تعلمه، فإذا كان لا يستطيع التركيز والانتباه إلا لمدة قصيرة، وإذا كان يشرد أو يتلهى بسهولة، أو يصيبه الإحباط بسرعة، أو إذا كان خجولاً، أو يخاف من النشاطات الجديدة، فهذا يصعب من تعامله من المواقف الجديدة.

أما إذا كان الطفل متحمساً ومحباً للاستطلاع، ويستطيع التركيز على ما يقوم به، وإذا كان مرناً فهذا يسهل تعامله مع أكثر المشكلات الجديدة.

إن مرور الطفل بخبرات سارة تعزز ثقته بنفسه وتنشط عملية تعلمه. وبالمقابل فإن خبرات التعلم الفاشلة تولد التشاؤم وعدم الثقة بالنفس. علينا نحن الكبار أن نتذكر دوماً أن الأطفال يتطورون كلاً حسب سرعته الخاصة، لأن هذا يساعدنا على التحرر من محاولة تسريع عملية التعلم عند الأطفال، وهذا لا يعني بالطبع أن الآباء لا يستطيعون مساعدة أطفالهم على تطوير تقنيات من أجل التعلم، ومن الملاحظ أن الأهل يقلقون عندما يجدون أن ابن الجيران يتفوق في مهارة لم يتقنها طفلهم بعد، ويتساءلون عما إذا كان عليهم الضغط عليه للحاق بالطفل الآخر، ونقول: إن دفع الأطفال إلى القيام بنشاطات ليسوا مستعدين للقيام بها بعد قد يؤدي بشكل غير مقصود إلى تصعيب الأمور عليهم. بحيث يفشلون في النجاح في هذه النشاطات في المستقبل عندما يحين وقتها.

علينا أن نعطي أطفالنا مهلة فيما

نتوقعه منهم. فعندما يكون الأطفال تعبين أو مرضى، أو يعانون من ضغط ما فغالباً ما يتصرفون بطفولية أكثر من المعتاد. وعندما تحدث تغيرات في نظام حياة الطفل يمكن أن يسبب هذا ضغطاً عليه حتى لو كانت التغيرات إيجابية، مثل الانتقال من بيت إلى بيت، أو ولادة مولود جديد للأسرة أو دخول مدرسة جديدة، وجميعها تثير فيه سلوكاً محفوظاً في ذاكرته من فترة سابقة في حياته، لذلك فإن الانتكاسات شيء طبيعي تماماً.

تعلم مدى الحياة

وعلى الآباء عدم انتقاد فشل الطفل، وعدم جعله يفوز بشكل مستمر ومتعمد. احذروا الجوائز المادية فإنها بمثابة الرشوة إن كثر استخدامها، كونوا قدوة حسنة لأطفالكم في جميع تصرفاتكم واشرحوا لهم السبب وراء ذلك السلوك، أعطوا لأطفالكم في جميع تصرفاتكم واشرحوا لهم السبب وراء ذلك السلوك، أعطوا أطفالكم دورهم في المناسبات الاجتماعية، فإن شعور الطفل بوجوده يدفعه لمزيد من التعلم والبحث والاكتشاف والثقة بالنفس، فلنتعاون مع أطفالنا وندفعهم لتعلم فعال، والتعلم الفعال يحتاج إلى طفل يحب التعلم، ويؤدي الاهتمام بثقافة الطفل دوراً كبيراً في حبه للتعلم، لذلك اهتموا بثقافة أطفالكم ومصادرها وأساليبها، وأنشئوا قنوات اتصال مع مدارسهم من خلال حضور اجتماعات أولياء الأمور، وتقديم المقترحات حول العملية التربوية. إن تعرفكم على مستوى أطفالكم يساعدكم في دفعهم لتعلم أفضل، حاولوا أن تكونوا موضوعيين في التحدث عن أطفالكم أمام الآخرين وخاصة معلميهم. إن العلاقة بين المدرسة والبيت هي أساس التعلم الفعال والعامل الهام في حفز الأطفال على التعلم.

إننا لا نريد تعلماً مؤقتاً ينتهي بانتهاء المدرسة، إننا نريد تعلماً مدى الحياة، تعلماً ذاتياً يواجه التفجر المعرفي السائد، ويواجه متطلبات القرن الحادي والعشرين.

الدراسة الناجحة تجنب الأبناء الفشل

الدراسة والفشل

كل أسرة تتمنى أن تحقق لأولادها مراتب عالية من العلم ليأخذوا دورهم العلمي، ومكانتهم الاجتماعية في المجتمع، ويزداد قلق الأسرة يوماً بعد يوم خوفاً على مستقبل الأبناء، ويبحثون ويسألون عن الأسلوب الأفضل في التربية الذي يسهم في تخطي الأبناء الصعاب، وتحقيق النجاح في الامتحانات فالفشل صعب على كلا الطرفين.

وهنا لا بد للطالب من تحقيق أمله وآمال أسرته به، لذلك عليه بالتركيز والمثابرة، والتركيز وتوجيه الانتباه الإدراكي لموضوع الدراسة، الذي هو بصدد دراسته، حيث يكثف جهوده وإمكاناته للدراسة والتحصيل. والتركيز بمفرده غير كاف، فلا بد من المثابرة التي تعني القدرة على المتابعة والاستمرار المرافقين للتركيز، وقد تختلف القدرة على التركيز والمثابرة من طالب لآخر، فقد تبدأ من نصف ساعة، وقد تمتد لساعة أو أكثر عند البعض، والطالب الذي يريد الوصول لهدفه يحضر لدراسته بشكل جيد. إلا أن ذلك يتوقف على الحافز النفسي لديه، أي الرغبة في الدراسة والحافز النفسي يشكل لديه قوة كبيرة إذا شعر بأهمية المادة التي يدرسها والذكاء الخاص الذي يتمتع به، والطالب المجد يعرف كيف ينظم وقته بين الجد والترويح عن النفس.

دور المدرسة في الحد من مشكلة الفشل الدراسي

ومن الجدير بالذكر أن يتعلم الطالب أن لكل مادة أسلوباً في الدراسة، وهذه مسؤولية المدرس بالدرجة الأولى، إذ إن مهمة المدرس ليس نقل المعلومات من الكتب لأذهان الطلبة فقط، إنما عليه لفت انتباه الطلاب كيفية الاستفادة من المعلومات، وكيفية تخزين هذه المعلومات، أي تعليمهم كيف سيدرسونها، فأسلوب دراسة التاريخ يختلف عن أسلوب دراسة الرياضيات واللغة، فالتاريخ على سبيل المثال يحتاج لمقارنات وربط وتمييز والرياضيات تحتاج لتفكير واستنتاج وتطبيق وهكذا. إن المقارنة تساعد على التبويب والاسترجاع الصحيح للمعلومات، والفهرسة المنطقية للمعلومات ضرورية بما فيها عمليات الاستقراء والاستنتاج، فالاستقراء ينقل الطالب من المعلومات الجزئية إلى المعلومات العامة والاستنتاج عكسه.

دور الأسرة في الحد من الفشل الدراسي

إن الأسرة الواعية تأخذ بيد أبنائها وتحثهم على تحضير الدروس مسبقاً ومتابعة دروسه بالتدرج دون تراكم، والاستماع لكل صغيرة وكبيرة بالدرس، والانتباه إلى النقاط التي يركز عليها المعلم.

وتحث الطالب أن يحافظ على وقت الدراسة، ويحاول أن يعوض الوقت الضائع حتى لا ينقصه أي شيء من المفاهيم أو الخبرات. وأن يدرك أن كل مادة يدرسها لابد أن تضيف شيئاً ما إلى ثقافته الشخصية، وتسهم في صقل شخصيته. علينا كآباء أن نساعد أبناءنا بتذليل الصعوبات الدراسية لديهم إن وجدت، ونرشدهم لدراسة السهل من المادة أولاً، ونأخذ بيدهم ليستشيروا من هم على علم بالمفاهيم التي تصعب عليهم.

إن البيئة المادية التي نوفرها للأبناء تسهم في دراستهم الناجحة، الطاولة والكرسي تجعل حواس الطالب مستيقظة دوماً، التهوية الجيدة تزودهم بالأوكسجين الذي ينشط الدماغ، الحرارة الطبيعية (٢٥ ـ ٢٧) درجة تنشط الجسم، إن حجب الضجيج عنهم، وتأمين الهدوء أمر ضروري، والإضاءة الجيدة ضرورية جداً، فكل غرفة مساحتها ٢٥م٢ تحتاج إلى ٣٠شمعة. على أن يكون الضوء قادماً من على يسار الطالب، إن الطعام المتوازن ضروري جداً، فالأكل بكثرة والأكل الدسم يؤثر في طريقة استيعاب الطالب وكثرة المنبهات كالقهوة والشاي أمر سيئ للغاية، علينا مساعدة أبنائنا بتنظيم برنامج دراسي تتخلله أوقات للنوم والغذاء والرياضة للاستراحة، وقد تكون الاستراحة عبارة عن سماع موسيقا أو مشاهدة برنامج تلفزيوني أو استرخاء.. إلخ.

إن الأخذ بما سبق وتفهمه بوعي يساعد الأبناء على النجاح ويحقق لهم الدراسة الناجحة وتجنب رسم الفشل الدراسي.[1]

---

(١) تربية الطفل، مشكلات وحلول للدكتورة سلوى مرتضى: ص١٠٧ ـ ١١٢.



الفقيه بروح الإخلاص

بعد أن أنهى آية الله السيد أحمد حجب الكابلي دراسته في حوزة مشهد وانتقل إلى حوزة قم، ثم انتقل في دروسه العليا إلى حوزة النجف الأشرف وبلغ درجة الاجتهاد في فقه الشريعة الإسلامية قرّر العودة إلى أفغانستان لخدمة المسلمين من أهل الوطن.

إلاّ أن بعضاً اقترح عليه عدم الذهاب إلى أفغانستان بسبب الظلم والاضطهاد للشيعة، وقال له: مثلك بهذه الدرجة العلمية إنْ ذهبتَ إلى أفغانستان تُهضَم، فلا أحد يعرف منزلتك، بينما إذا بقيتَ في النجف فقد تصلك المرجعية فتصبح رئيساً للمذهب، أو إذا سافرت إلى إيران أو الهند أصبحت مرجعاً محترماً.

فقال السيد أحمد: أما النجف الأشرف فمليئة بالفقهاء والعلماء وليسَ هناك حاجة إلـيّ وأما إيران ففي كلّ زقاق عالم، وأما الهند فمستعمرة من مستعمرات الانجليز وأنا أكره أن أعيش تحت سيطرة الكفّار.

أعود إلى وطني لأخدم أهل تلك الديار المحرومة مادياً ومعنوياً فلعلّي تمكنتُ من إعلاء آذاننا فوق المنائر وفكرنا فوق المنابر، وبعده لا يهمني كيف أعيش مادياً أو أن أحصل على احترام ومنصب.

فسلام عليك من عارف ما أعظمه ومخلصٍ ما أطهره، إنه الفقيه بروح الإخلاص.

ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب

آية الله العظمى الحاج الشيخ ميرزا جواد التبريزي (دام ظله) هو الآخر من مفاخر فقهاء الإمامية وواحد من أبرز الأساتذة الكبار في حوزة قم المقدسة رحمه الله.

لما أنهى مرتبة من دروسه في حوزة قم المقدسة كان متلهفاً لمواصلة مراتبها العليا في حوزة النجف الأشرف، إلاّ أن ظروفه المادية كانت تمنع تحقيق هذه الأمنية حتى ذات مرة ضمه مجلس مع جمع من العلماء وكان يحضره أحد التجار المتدينين، فدار بين الجمع بحث علمي وفقهي قد أظهر فيه سماحة الشيخ علمه وأثبت جدارته بين الحاضرين حتى نال إعجاب الرجل التاجر، فجاء إليه بعد المجلس والتمسه أن يطلب منه خدمة، فقال له سماحة الشيخ التبريزي: إني منذ فترة أعيش ورغبة ملحة لمواصلة دروسي العليا في النجف الأشرف جوار مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولكن الظروف المادية لا تساعدني، فتكفل الرجل الخيّر مصاريف سفره ومعيشته حتى استغنى الشيخ من أخذ راتب الحوزة في النجف الأشرف.

هكذا يمنّ الله تعالى على عباده المتقين، أليس هو القائل في محكم كتابه الحكيم: ((...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ...)).[١]

هذا ولقد انتقل التاجر المتدين إلى رحمة الله قبل سنوات قليلة، فهنيئاً له أجره وقرّت به عينه يوم يفتحها على نعيم الجنة الخالدة، وهل يقتدي بهما آخرون؟[٢]

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ و ٣.

(٢) قصص وخواطر للشيخ المهتدي البحراني: ص٢٢٦ ـ ٢٢٨، برقم (١٧١ و ١٧٢).



الكهوف

الكهوف هي عبارة عن فجوة ذات فتحة في الصخر يزيد قطرها على ٥ . ١٥ ملم. فهي إحدى المكونات الطبيعية التي تكون في ظل ظروف جيولوجية معينة، وتسمى بالمتاحف الجيولوجية المخبأة في باطن الأرض، ويتواجد الكهوف غالبا في التراكيب الجيولوجية السطحية (الجبال) وتحت السطحية (السهول والصحارى) المكونة من الصخور الكلسية مثل صخور(حجرالكلس، الجبس، الدولومايت وغيرها)، وهي كنوز طبيعية وجزء من التراث الطبيعي والبيئي.

تكوين الكهوف

الكهوف تحمل المياه كمية من ثاني أكسيد الكربون، وهذا ما يجعلها تذيب الصخور الجيرية وتوسع المسام والتشققات التي تترسب عبرها، ومع مرور الزمن تتسع هذه المسام والتشققات إلى حد تشكل معه خنادق ومغارات وكهوفاً متعددة الأشكال، من العمليات الجيولوجية التي تسبب تكوين الكهوف هي التفاعلات الكيميائية بين الصخور، عوامل التعرية بسبب المياه، القوى الكونية، الضغط و العوامل الجوية والأحياء الدقيقة.

الاستغوار

هو علم يهتم باكتشاف الكهوف و المغارات سواء باستكشافها (مابداخلها من أحياء) أو البحث عنها وإيجادها... وله أسس ومبادئ لاكتشاف أغوار الكهوف وما بها من احجار وأحياء وباطن الأرض بصفة عامة.. اما العلم المختص بدراسة الكهوف هو سبيليوجي (Speleology) وهو علم يعتمد على الجيولوجيا والهيدرولوجيا (علم المياه) وعلم الأحياء والآثار.

المغارات

كهوف ومغارات عميقة في الأرض، نتجت عن تسرب مياه الأمطار، مغارات وسراديب تحت الأرض، وتعد إحدى عجائب الطبيعة وغرائبها في الصحراء، بهرت من شاهدها من الرّحالة و المستكشفين، تكونت بفعل ذوبان التربة الهشة التي بين الصخور الصلبة حتى صارت مغارات كالشقوق، يذهب بعضها في الأرض إلى عدة كيلومترات، وقد يتصل بعضها ببعض، وأصبحت مجاري لمياه السيول في باطن الأرض، وعلى مر السنين توسعت هذه المجاري لتصبح كالأنفاق، تتسع، وتضيق، وتلتوي في باطن الأرض، مكونة سراديب طويلة.

أنواع الكهوف

١.الكهوف الأولية وهي الكهوف التي تكونت مع الصخور المحيطة بها في نفس الوقت مثل أنفاق اللافا التي تتكون من النشاطات البركانية.

٢.الكهوف البحرية التي تتواجد بمحاذاة السواحل في معظم دول العالم.

٣.الكهوف الجليدية التي تتكون من عملية الذوبان في الجليد و تحت الأنهار الجليدية.

٤.الكهوف المتحللة و التي تتكون من تحلل و ذوبان الصخور المكونة لها في المياه الجوفية المحملة بالأكسيد و الأحماض منها الحمض العضوي.

أشهر الكهوف في العالم

ورد الكهف ـ في قصة أصحاب الكهف ـ في الآية ١١ من سورة الكهف المباركة في كتاب الله الكريم الذي لم يحدد مكانه حتى الآن.

تنتشر الكهوف في مختلف أنحاء العالم ومن أشهرها المعروفة في (بريطانيا، ايطاليا، فرنسا، سويسرا، يوغسلافيا، ابغازيا، عمان، ماليزيا، تركيا، مصر، إيران، العراق وغيرها).

أشهر الكهوف في بريطانيا هم (المنديس) (وبيك ديسترکت) و(يوركشايرالشمالية) أما أعمال الحفر والتنقيب في كهف (ركنت) الكبير في منطقة (توركوري) فقد زودت العلماء بحقائق قيمة عن إنسان العصر الحجري وعن مخلوقات تلك العصور.

من أشهر كهوف ايطاليا و أكبرها في العالم هما كهف (هوجرتو) الذي تم اكتشاف ٤ كم من ممراته ودهاليزه وكهوف (كستلانا) وهي أكثر الكهوف الايطالية إثارة للاهتمام لوجود كميات كبيرة من(الستالكتيتات) و(الستالجميتات) ذات الجمال الرائع والألوان الزاهية التي يتسيد فيها الألوان الأبيض والأسود والأحمر، فضلاً عن كهوف (كانيلوف) التي تحظى بشهرة واسعة بسبب تلونها وبقايا إنسان ما قبل التاريخ وحيواناته.

كما يوجد كهوف رائعة ومثيرة ومدهشة في فرنسا بسبب ما على جدرانها من نقوش يرجع تأريخها إلى ٢٠٠٠٠ ألف سنة خلت مثل كهف (تراوافرير) و(الإخوان الثلاثة) بالقرب من سانت جيرون رسم إنسان ما قبل التأريخ على جدرانها الكثير من صور الحيوانات التي كان يصطادها كالثيران والنمور والدببة وكذلك هو الحال في كهف مونتسبان في البرانس.

اما الكهوف الرائعة في العراق فهي كهف شاندر، هزارميرد، هوديان، وديان، بستون، بيخال، جوارستين، مسلتا، كيله شين، طوبزارة، جنديان وكهوف جبال رانية، وغيرها في منطقة كردستان.

يعتبر كهف طيق في محافظة ظفار بدولة عمان التي بمفردة جيولوجية النادرة تدل على ثراء التاريخ الطبيعي ويعد أكبر بحوالي ٧٥ مرة من كهف مجلس الجن في شمال عمان و أكبر بحوالي ٥٧ مرة من كهف سيرواك في ماليزيا.

ويوجد في ايران كهف علي صدر حيث يقع بالقرب منه كهفان آخران يبعدان عنه مسافة أحد عشر كيلومتراً وسبعة كيلومترات على التوالي وهما كهف سوباش وكهف سراب.

صدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة الكتاب الموسوم بـ(موجز السيرة النبوية) تأليف السيد نبيل الحسني العطار، وقد تضمن الكتاب بعض العناوين المشهورة في السيرة النبوية من دون السعي في تحقيقها وبحثها، وذلك لفسح المجال لمناقشتها أثناء تناولها كمادة درسية، فقد تم إعتماد هذا الكتاب كمنهج دراسي لدى مدرسة الخطابة الحسينية في العتبتين الحسينية والعباسية، وذلك أن علم السيرة النبوية هو السنام الذي يتزود منه الخطيب مادته البحثية ومشروعه التبليغي.

فهذا العلم الشريف هو واحد من جهود الإمام محمد الباقر عليه السلام وتلميذه محمد بن إسحاق المطلبي.

